المجلس الأعلى للغة العربية



- منبر فرسان البيان -

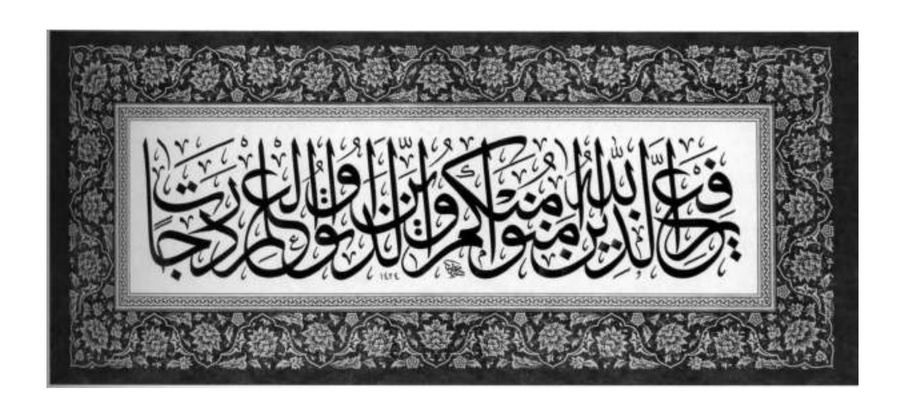
من مآثر العلامة عمر أبو حفص الزموري في خدمة لغة القرآن

ندوة فكرية نظمت يوم 28 جوان 2008
بفندق الأوراسي

بمناسبة الذكرى 18 لوفاة
العلامة عمر أبو حفص الزموري

الجزائر 2008


بسم الله الرحمن الرحيم


يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات

المجلس الأعلى للغة العربية

- منبر فرسان البيان -

من مآثر العلامة
عمر أبو حفص الزموري
في خدمة لغة القرآن

ندوة فكرية نظمت يوم 28 جوان 2008
بفندق الأوراسي

بمناسبة الذكرى 18 لوفاة
العلامة عمر أبو حفص الزموري

الجزائر 2008

من إصدارت المجلس الأعلى للغة العربية
الجزائر

نوفمبر 2008

الإيداع القانوني : 4399 - 2008 ردمك : 6 - 33 - 821 - 9947 - 978.

المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فراكلين روزفلت ،
أو صندوق البريد 575 ديدوش مراد ـ الجزائر
الهاتف: 24 07 23 021 (0) 213
الفاكس:07 07 23 021 (0) 213
الموقع الإلكتروني: www.csla.dz
البريد الإلكتروني: csla@wissal

منبر فرسان البيان

مجالاته :

الشعر و أمراؤه و أميراته .

النثر بمختلف أجناسه و خطاباته :

- القصة - المسرحية - الأقصوصة

- المقالة - الرواية

الأبحاث المفتوقة في النقد الأدبي و الدراسات العلمية التي ترقي باللّغة العربية إلى مستوى ما تتميّز به من ثروة و مطاوعة .

هدفه :

* التحبيب في العربية و التعريف بجمالياتها .

* علاقة الإستعمال الحديث للعربية بتراثها العريق و المتجدّد عبر العصور .

تنشر هذه السلسلة ما تجود به القرائح و المواهب .

فهرس الموضوعات

كلمـة الافتتاح

د / محمد العربي ولد خليفة رئيس المجلس

بسم الله الرحمن الرحيم الصلاة والسلام على المصطفى الأمين

أصحاب المعالي والسعادة والفضيلة

السادة الأساتذة الأفاضل أيّها الجمع الموقّر

أرحب بكم في رحاب هذه المائدة المخصصة لجهود الشيخ عمر أبو حفص الزموري أحد رجالات الجزائر وعلمائها الأفذاذ جمع بين التقوى والعلم والعمل، ووهب ما يزيد على نصف قرن من حياته الحافلة بالمكرمات لخدمة اللسان العربي المبين والسّهر على تربية الأجيال وتوعية الناس بصبر وعزيمة لا تعرف الكلل ولا الملل.

كما أتوجه بالتحية لضيوفنا الكرام من أهل بيت الشيخ الزموري وكل الذين ساهموا في التحضير لهذه المائدة، وخاصة الأستاذ بلقاسم آيت حمو المستشار بوزارة المالية ومن الساهرين على إحياء ذكرى الشيخ بوفاء وحماس والعناية بنشر تراثه في مجالات العرفان الصوفي المستمد من الكتاب والسنّة ونشر مؤلفاته في فنون البيان ومنظومة القواعد دستور اللغة العربيّة الذي اُقترب من الإحكام والكمال قبل ما يزيد على ألف عام.

السادة الأفاضل
أيها الجمع الموقر

لم أحظ شخصيا بلقاء الشيخ الجليل والاُستفادة من دروسه والاُقتباس من اُبتهالاته الربانية، لقد اُلتحق بالرفيق الأعلى سنة 1990 أي قبل 18 عاما، لقد أرادت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن لا يشهد بلاده وهي تغوص في مضيق العواصف وتحاصرها فتنــة اُختلط فيها الحق بالباطل، ولكن ليس من الضروري أن نتعرف مباشرة على كبار القادة والسّاسة العظماء والحكماء من أهل الذكر والفكر، لكي نقدّر مقاماتهم ونستفيد من آثارهم وتجاربهم فقد تكون المعاصرة نفسها حجابا تدفع البعض لإبراز النقائص والمساوي والتقليل من شأن الفضائل والمكارم.

لقد أجمعت الشهادات المتواترة من الذين عرفوا الشيخ واُطلعوا على مدوّناته في علوم العربية والفقه والتفسير، أقول أجمعت تلك الشهادات الشفوية والمكتوبة التي سنشير إليها بعد قليل بقلم الأستاذ مهري المولود رحمه الله وطيب ثراه، على ما تميز به الشيخ من تقوى وتواضع وتفان في خدمة العلم والمجتمع اُنطلاقا من زمورة إلى العديد من مدن وقرى الجزائر وخاصة في وسط البلاد وشرقها.

لم تله الشيخ رحمه الله مشاغل الدنيا وزخرفها عن التأليف في علوم العربية التي أحبها وسعى إلى إحيائها في القلوب قبل الألسنة، لأنها المفتاح الذي لا غنى عنه لفهم القرآن وإدراك ما يزخر به من إعجاز وأسرار، فالقرآن هو الكتاب الالهي الوحيد الذي حافظ على نصّه الموحّد منذ تنزيله وإلى اليوم.

كَتَب المستشرق جاك بيرك وليد فرنده من ولاية تيارت في مقدمته لترجمة معاني القرآن ما نصّه لا توجد لغة يمكن أن تنقل معاني فاتحة الكتاب ولذلك أُبقيها بنصّها العربي واُعتبرها أفضل مقدّمة للترجمة.

يعرف الباحثون في التراث الإسلامي العربي الأمازيغي الدور الهام الذي قام به رجال العلم والعرفان من أهل التصوف السني الذي ينهل من أنوار الكتاب والسنة ويتّخذ من سيرة رسولنا الأكرم قدوة ومنهاجا، ذلك هو تصوف العلم والعمل والجهاد الذي تميّزت به شبكة الزوايا في المغرب الأوسط منذ بداية الزحف الأسود على الضفّة الجنوبيّة بعد سقوط الأندلس في نهاية القرن الخامس عشر.

بقي التصوّف الجزائري على العموم بمنأى عن الشعوذة والإسرائيليات التي تدعو إلى التخاذل والاستسلام للظلم، ولم يتأثر بمذاهب التوحد والحلول والأفلوطينيّة الهرمسيّة والغنوصية والأحاديث المدسوسة لخدمة مذهبيات تسخّر الدّين للسياسة أو تديّن السّياسة، فقد كان ذلك من علامات الفتنة والتخلّف والاُنحطاط الذي أصاب كيان عالمنا الإسلامي وأوصله إلى الضياع والغفلة عما يجري في العالم من حوله.

ينبغي أن نميّز بين أهل التصوّف من العلماء والمربّين والمصلحين وبين فصائل من الطرقيّة التي اُنساقت وراء الطّقوس الشكلية والدّروشة الخاليّة من المعرفة الروحانية، والعمل على النهوض بالمجتمع، ولا يسمح المقام بتفصيل القول في خطط الاُحتلال للتغرير ببعض تلك الفصائل التي نسيت تراث العلماء الربانيين مثل الحسن البصري والجنيد وابن عربي وأبي مدين الغوث

وعبد الرحمن الثعالبي ومواقف الأمير عبد القادر وجهاد لالا فاطمة نسومر وبوعمامة والشيخ أحداد، حتى رائد الإصلاح والنهضة الإمام عبد الحميد بن باديس، والشيخ الروحاني ناشر العلم والفضيلة عمر أبو حفص الزموري.

لا تقلل تلك الحالات الشاذة من الجهد الكبير الذي قام به علماء اللّسان والبيان والعرفان من جهد لم يلق ما يستحق من دراسة وتعريف ، ولعله من المفارقات التي تثير الإعجاب أن يتميز المغاربيّون عربا وأمازيغ زواوة بوجه خاص بالفصاحة والعناية بعلوم العربية والفقه والتفسير ومنهم الشيخ الزموري الذي سار على خطى المقلتي وابن معطي الذي اُعترف له اُبن مالك في ألفيته الشهيرة بالسبق، وكذلك المكودي الذي عكف الشّيخ أبو حفص على شرحه والتعليق عليه وتيسير الإستفادة منه، ومئات من الأعلام الذين تعلموا أو علموا في مجامع المغرب العربي الإسلامي في بجاية وتلمسان وغيرهما من منارات العلم المغاربية والمشارقية وحملوا لقب الجزائري أو الزواوي، ومع الأسف هناك في بلادنا وفي المشرق من يتناسى جهود ومكانة علمائنا ومساهماتهم في خدمة اللسان والحضارة العربيّة الإسلامية في علوم البرهان واُشراقات العرفان وكأنّ أولئك العلماء يكررون مع اُبن حزم الأندلسي مقولته الشهيرة «كأنني شمس أشرقت من الغرب».

وبعد أن تعرّضت الجزائر لخطر الاُبتلاع والمسخ الكولونيالي بسبب غفلة الساسة ومضاعفات التخلف والجمود وكان طلب العلم والتعليم في الزوايا والمعمرات والكتاتيب أشبه بالعمل الفدائي اُحتضنه الشعب ورعاه ورأى فيه آخر قلعة للمحافظة على مقومات الشخصية الوطنية والدفاع عن العقيدة واللسان العربي.

وفي وضعية الحصار المفروض على الجزائريين والقمع والاستئصال المنظم من طرف السلطة الكولونيالية لم يبق هناك مجال للابتكار العلمي واُقتصر التأليف والإبداع العلمي في الشعر والنثر على قلّة من العصاميين فقد كانت الجزائر حتى منتصف القرن الماضي في آخر حصونها الدفاعية وهي التمسك بالموروث من التراث والعقيدة الإسلامية، بل أدت الأميّة المفروضة إلى تقلص الكتابة والتدوين واُنتشار الثقافة الشفاهية التي تعتمد على الحفظ والذاكرة .

لن أطيل الحديث عن آثار الشيخ الزموري في علمي النحو والصرف وبيننا أكاديميون مختصون وبعض رفاقه وحوارييه وأختتم كلمتي بفقرة من كلام أخيه الروحي الأستاذ مهري المولود رحمه الله وأجزل ثوابه يقول في مقدمته لكتاب الشيخ عمر أبو حفص:

<< أما بعد فقد أطلعني الأخ الروحي عمر أبو حفص على تأليفه النفيس المسمى فتح اللطيف في شرح البسط والتعريف في علم التصريف للإمام المكودي شارح الألفية فسرحتُ النظر في رياضه ومتعتُ الروح بأزهار فصاحته وبلاغته فوجدته مرصعا بأبحاث شريفة وتحقيقات نفيسة بأسلوب جذّاب فأُصبحت به قواعد التصريف سهلة المنال لجميع الطلاب، وقد كان هذا الفنّ مستعصيا على الأفهام، لتشعب مسائله فلا يتوصل لتحقيقها وإدراكها على الوجه الأكمل إلاّ الجهابذة الأعلام >>

فهل بعد هذا التقديم والتقدير من مزيد؟! ننتظر ذلك من أساتذتنا المحاضرين ومن شيوخنا الأجلاء.

شكرا لكم على صبركم وحسن إصغائكم والسلام عليكم

الجزائر في 28 جوان 2008

د. محمد العربي ولد خليفة

الذكرى 18 لوفاة العلامة الشيخ
عمر أبو حفص الزموري



وقفـة مع الشيخ عمر أبو حفص الزموري

الأستاذ : بلقاسم آيت حمو.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على رسولك الأعظم ونبيك الأكرم

سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

إن مما يثلج الصدر، ويغمر القلب بالبشر، أن يحظى المرء بحضور مثل هذه الجلسة النورانية، الطافحة بالفيوضات، والإمدادات ودقائق الأسرار.

ذلك أن المحتفى به سيدي الشيخ عمر أبو حفص الزموري، قدس الله سره، وأفاض عليه من كرمه وجوده ما يرضيه وفوق الرضى، من المشايخ الشوامخ، الذين طبقت شهرتهم الآفاق لا سيما بعد التحاقه بالرفيق الأعلى عز وجل.

فالقرب حجب، والمعاصر حرمان، لكن هذا هو شأن الكثير من إخوانه العارفين بالله تعالى، حيث عاشوا في خمول، ثم أذاع الله عز وجل صيتهم، بعد أن أخفاهم لحكمة يعلمها، وقد قيل :

ليس الخمول بعيب ** على امرئ ذي جلال

فليلة القدر تخفى ** و هي خير الليـالي

أجل ! ذلكم حال أهل الله تعالى وخاصته:

من تلق منهم تقل، لاقيت سيدهم

مثل النجوم التي يسري بها الساري.

فهم بمختلف مقاماتهم بمثابة سلسلة متصلة الحلقات، وهم نفس الرحم، وكما يقال حقا وصدقا إنهم «عرائس الرحمن» لا يجليهم إلا لمن سبقت له العناية الربانية، ويكفي مجرد ذكرهم لتتنزل الرحمات، وتعم الخيرات، وفي هذا المعنى قيل :

اسرد حديث الصالحين وسمهم

فبذكرهم تتنزل الرحماتُ

واغش مجالسهم تنل بركاتهم

وقبورهم زرها إذا ما ماتوا !

وفي نفس السياق يقول الغوث الرباني المشهور بتلقين الاسم الأعظم، سيدي الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي الجزائري رضي الله عنه وأرضاه، وطيب ثراه :

اللي اذكرنا في مجلس * محال يفلس**

صار بنا متأنـس * يا بابا - !!**

(فهم قوم لا يشقى جليسهم)، كما قال إمامهم، وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعليهم وآله وسلم.

إنه شيخهم جميعا، رسلا وأنبياء وأولياء، وقدوتهم، ومرشدهم، كما قال

مادحه سيدي شرف الدين البوصيري الجزائري الأصل، دفين الأسكندرية رضي الله عنه في القصيدة العصماء الموسومة بـ (البردة).

وكلهم من رسول الله ملتمس
غرفا من البحر أو رشفا من الديم !

وفي هذا المعنى ذكر لي البروفسور بشير ولد رويس أنه لما ألتقى – أول مرة، في منتصف الستينيات – بالشيخ قدس الله سره، سأله : من شيخك ؟ أجاب الحاج البشير باعتداد : شيخي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فابتسم الشيخ أبو حفص قدس الله سره وقال له ما معناه « لم أسالك عن شيخنا جميعا، وإنما سألتك عن شيخك أنت، لأن السائر في هذه الطريق شأنه مثل شأن سائق السيارة الذي تعلم كل القواعد النظرية للسياقة، لكنه عندما يشرع في التطبيق وفي السياقة الفعلية، ينبغي أن يصاحبه سائق خبير ذو تجربة عالية، يجلس جنبه، ويتركه يسوق بمفرده لكنه يرعاه ويوجهه.

ولما قامت المودة بينهما، وتعذر على البروفسور الحاج البشير الحضور الدائم لالتزاماته الطبية، قال له الشيخ رضي الله عنه يكفي أن تحضر معنا بقلبك فقط !! ، وهذه المنة الالهية متواصلة إن شاء الله، وعليه فإن الذين رغبوا بصدق نية، وحسن طوية في حضور الجلسة النورانية، غير أنهم تعذر عليهم الحضور لبعد مسافة أو قلة وسيلة، أو التزام قاهر، مشمولون، بإذن الله تعالى، ببركة هذه الذكرى الميمونة وأنتهز هذه الفرصة الغالية لأعرب عن أصدق آيات الشكر والامتنان، وأخلص عبارات العرفان لراعي جلسة (فرسان

البيان) الشريف الدكتور محمد العربي ولد خليفة الذي ترك بصماته في كل القطاعات التي مر بها كالتعليم العالي والبحث العلمي أستاذا، والثقافة والفنون الشعبية، والتعليم الثانوي والتقني وزيرا، والديبلوماسية سفيرا، وها هو ينعش المجلس الأعلى للغة العربية بمبادراته العديدة المفيدة، وأفكاره السديدة.

والشكر موصول إلى كافة المسهمين في الإعداد لهذه التظاهرة الميمونة من منظمين، ومحاضرين وإعلاميين ومشاركين بالحضور، كل باسمه، محسنين الظن بالله جل جلاله أن يفيض علينا من كرمه وجوده ومنه ما يرضينا جميعا وفوق الرِّضى، فهو محب لأوليائه، ومحب لمن يحبهم، وقد قال في حديث قدسي على لسان أحب أحبابه، وأكرم مخلوقاته، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم «من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب» والعياذ بالله .

ونحن متفائلون بمستقبل مشرق باسم لمجتمعنا، وجزائرنا المحروسة بإذن الله، طالما أن أبناءها وبناتها متعلقة قلوبهم بمحبة المولى سبحانه وتعالى، ومحبة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وكافة أحبابه من رسل وأنبياء وملائكة وأولياء بمختلف طبقاتهم ودرجاتهم .

ولقد وددت أن أقطف لكم مقطعين تعريفيين بالشيخ عمر أبو حفص رضي الله عنه، أحدهما مستمد من شهادة ارتجالية أدلى بها أحد تلامذته بخصوص علومه الظاهرة رضي الله عنه، وأثبتها كما حررت أثناء ذلك الارتجال دون تعديل إلا في كلمات أو ربط لسياق المعنى، وثانيهما مقتبس من شهادة أحد محبيه الذين لم يعرفوه وهو على قيد الحياة الظاهرة .

أ - **العلوم الظاهرة:** لكي يتسنى لنا معرفة مدى زخم المعارف والعلوم التي كان يجيدها بفضل الله ومنه، اليكم هذا المقطع من الشهادة الارتجالية لتلميذه المرحوم أحمد سمين البوكرامي، الذي يقول:»هو العالم العارف بالله، الحائز على المعقول والمنقول، المتبحر في مختلف العلوم اللغوية والدينية إلى أبعد الحدود، حتى لا يمكن معرفة البعد الذي بلغه، كيف لا هو الذي يقول: أنا أنفق من جمال الله، وجمال الله بحر لا ساحل له.

فهو ينفق من فيض الله بكيفية لا يمكن التعبير عنها، يعرفه من سمعه، وأخذ عنه إذا كان به قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فهو- قدس الله سره –القدوة العظيمة، ولعل من سمع مثل هذا القول تحدثه نفسه فتقول هذا ضرب من المبالغة، والجواب: إذا أردنا الحقيقة، فإن كل المبالغة فيما يقال عن هذا الشيخ – قدس الله سره – فيها تقصير، فمن أكرمه الله بالاجتماع به يدرك بعض هذا الذي يعرفه أناس لا نعرفهم نحن، ونضرب لهذا مثلا بأحد العلماء البارزين، إذ زار أحد الشيوخ الأجلاء فلما خرج من عنده سأله الناس: ماذا رأيت في فلان؟ فقال: لو رأيتم أحدا من أصحاب الآخرة وسألتموه لأخبركم عنه، أما أنا فإني أجتمع بالخلق فكيف يتأتى لي معرفة أهل الآخرة ممن هم في الحضرة الإلهية ! فالشيخ عمر أبو حفص رضي الله عنه إذا نظرنا إليه من زاوية العلم الظاهر فإن قارئ كتب الإمام السنوسي في المنطق وفي التوحيد وقارئ كتب اللغة من نحو وصرف وبلاغة وعروض وكتب الفقه، والفلك، والميراث، وما ينطوي عليه من قواعد فقهية، وعمليات حسابية،وما إلى ذلك من العلوم الشرعية واللغوية، فمن وقف على هذه المؤلفات وعرفها وتشرب محتواها ثم لقي الشيخ رضي الله عنه فسأله عنها وسمع منه يجدَ العجب العًجاب، بحيث

يتبين له أن مخاطبه هو : الإمام السنوسي ذاته وأصحاب العلوم المذكورة، بل يتبادر إلى ذهنه أن الإمام السنوسي وهؤلاء، إنما تلقوا علومهم عن الشيخ رضي الله عنه.

ب – العلوم الباطنية: يقول أحد الممنون عليهم بعد أن استمع إلى صوت الشيخ رضي الله عنه وهو لا يعرفه، ((... فكان أن فتح الله علي بالاستماع– لأول مرة- إلى صوت الشيخ رحمه الله في شريط سجل فيه شرحه لبضعة أبيات من قصيدته التي تضمنت إشارات إلى بعض أسرار الفاتحة، والتي سماها (نور القدس لحضرة الأنس)،فلم أسمع مثله حديثا يأخذ بالعقل والقلب، يأسرهما، بل ينقادان له طائعين راضيَيْن.

انجذبت نفسي إلى الصوت الهادئ الرصين وكأنه ينبوع سخي يفيض بأسرار نورانية تغمر الروح، وتهز الوجدان، فإن الحديث كله نفحات وإشراقات وإلهامات، وفيض من علم لدني كرمه الله به، وثمرة رياضة وسياحة تعبدية في ملكوت الروح يقدمه الشيخ رضي الله تعالى عنه زادا للسائرين إلى الله سبحانه وتعالى يبتغون فضلا منه ورضوانا.

ولقد حاولت معرفة سر الاطمئنان الكلي إلى ذلك الحديث، وإلى جميع ما تضمنه من معان وأفكار وإيماءات وإرشادات عن عالم الروح والإنسان والكون وسنن الله الماضية في خلقه، فأدركت أن سر ذلك الاطمئنان يرجع إلى أن كلامه كله محفوف بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهو – أي الحديث – رغم كونه فيضا روحيا من الأسرار والأنوار، إلا أن صاحبه لا يكاد يستنبط معنى، أو يرجح فكرة، أو يقرب صورة، إلا وهو يعزز ذلك بالآية

والحديث فإذا تلك الآية كأنما أسمعها لأول مرة، أو كأنما لم ترد إلا في المعنى الذي يشير إليه الشيخ رضي الله تعالى عنه ...)).

هكذا عبر هذا المحب عن علم الشيخ الوهبي محاولا التعليق على مضمونه الميمون، ولمزيد من التنوير والتبصير، نورد كلام الشيخ رضي الله عنه في مثل هذا المقام حيث يقول: إذا تكلم العارف فإنما يتكلم بالإذن، وهو ليس في قلبه شيء حيال فلان أو فلان، لأن كل واحد في حقيقته، وإنما هو يتكلم بحسب إلقاء الله سبحانه وتعالى، لأن العارف بإمداد الحق، إذ أن قلوب العارفين مرتقبة على حضرة القرآن الكريم، على حضرة الله سبحانه وتعالى، تنتظر ما يرد عليها، ولهذا ينتقلون تارة من مسألة إلى أخرى، ألا ترى أن القرآن يتكلم تارة في الزكاة، ثم في الصلاة، ثم في البيوع ...؟ ، نعم، والآية هذه غير تلك، لماذا؟ لأنه من التنزيل الإلهي لا من الكسب البشري، كذلك العارف يتكلم بحسب التلقي الإلهي، وعلى هذا قلنا بأن جميع المشايخ يصيرون رحما، بل جميع الخلق، بل جميع الموجودات ... ويضيف الشيخ رضي الله عنه ((.. ينظر العارف إلى العالمين والكل حقيقة واحدة، غير أن مقام التفصيل يعطيه ففلان مثلا مرتبته كذا، وعلان مرتبته كذا...الخ)) انتهى كلام الشيخ رضي الله عنه.

إن الشهادتين المساقتين تقدمان لمحة عن تضلع الشيخ المربي سيدي عمر بوحفص رضي الله عنه، في علوم الشريعة والحقيقة، ولمزيد من التقرب نضيف إيراد بعض الشواهد – في اقتضاب شديد – بشأن تبحره في العلوم اللغوية والشرعية، باعتبار العلوم اللغوية المفتاح الأساسي للدخول إلى رحاب العلوم الشرعية.

أ – كتب أحد طلبته تعليقا على مصنف الشيخ رضي الله عنه في علمي النحو والصرف، والموسوم بـ ((فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف)) فأورد فيه الحادثة الآتية :

......وليس من معنى لإقباله على التصنيف في علمي النحو والصرف بهذا القلم المتخصص وهو يجيد العلوم الأخرى، بالإضافة إلى براعته فيها، سوى ولوعه – رحمه الله – واعتنائه بهما بشكل ملحوظ يعرفه عنه كل من ضمته مجالسه، وفي حافظة طلبته أكثر من ذكرى في هذا الشأن تعود كلما عاد ذكره وحضره الفكر فيه حضور مقيم لا يظعن .

من جليل ما نذكره شاهدا في سياقنا، ودليلا على طول باع الأستاذ رحمه الله في فنون العربية، أنه استضيف يوما مع جماعة من علماء القطر، فجرت مذاكرات كثيرة كان فيها القطب المستقطب، ذهل لها الحضور، ولم يخف أحد إكباره، إلا أن بعض من عز عليهم الإقرار بالفضل اعترضه بمسألة في العربية اتخذ القرآن الكريم حيثية لها، صورتها أن سأل عن إعراب لفظ ((والطيرَ)) ووجه نصبه في قوله تعالى [**ولقد آتينا داوود منا فضلا ياجبال أوِّبي معه والطيرَ**] سبأ الآية 10، ولم يكن الحديث جاريا لا في النحو ولا في الإعراب مما فسر بسوء قصد، أعرض الأستاذ بادئ الأمر عن الرد، لكن الرجل ألح في اعتراضه ولجّ، فانبرى له بالجواب الذي لم يكن يتوقعه، وأثبت له أن لا مانع من حملها على المفعولية المعترض عليها لوجود العامل والشاهد عليه في نصوص النحاة، وأبطل مزاعمه بكون القرآن الكريم – على رأي بعض المفسرين –ـخلواً من مفعول معه، بما معناه أن المسألة نحوية لا يؤخذ فيها بأقوال المفسرين، إلى أن أنجرت المذاكرة إلى طريق الاستدلال في كل العلوم، وكيفية استقصاء المسائل ومسالك العلماء في ذلك، واتضح بها أن

تلك القضايا كانت من الجديد الذي استفاد منه المعترض وغيره، ثم عرف له قدره في الأخير، فكان جوابه لأحد من عمد إلى تقديمه على الأستاذ في بعض مراسيم الضيافة، لا والله ما سبقته لهذا ! .

أما مداخلاته في البلاغة وفنونها والعروض وما يتصل به، واللغة وتفسير دقائقها وشواردها فقد يكون لها مقام آخر، وله في الشعر الرباني صولات وجولات ومناجيات تأتي في مقدمتها نونيته العصماء ((نور القدس لحضرة الأنس))، في شرح بعض معاني الفاتحة وفك رموزها واستجلاء أسرارها، وبشأن الفقه، والفتاوى، والحديث، والتفسير، فقد كان رضي الله عنه ملجأ الناس في فك النزاعات، ومقصدهم لحل الخصومات، وله في ذلك مواقف مشهودة إحقاقا للحق وتصحيحا للفتاوى وحفاظا على رواية الأحاديث الشريفة، وهي مواقف ستظل مصدر إلهام واقتداء لكل عالم لا يخشى في الحق لومة لائم، ونقتصر في هذا المجال على سرد مثالين اثنين في إيجاز:

1- اصدر أحد فقهاء الجزائر فتوى بجواز صرف الزكاة لبناء المسجد وتكفين الميت، فراسله الشيخ رضي الله عنه داعيا إياه إلى العدول عن فتواه المخالفة للأئمة الأربعة وللشرع، فلما لم يتراجع، نشر الشيخ رضي الله عنه – بعد لأي – ردّه المفحم، ومما ورد فيه: ((... بما أن الشيخ (فلان) لم يتراجع في فتواه، ولم يتدارك ما نسبه إلى الأئمة الأربعة من الاتفاق على جواز صرف الزكاة للمساجد وتكفين الميت، أحببنا أن ننشر هذه المقالة ...))، وهذا بعد أن توجه إلى المعني بقوله رضي الله عنه «فاتقوا الله في الأمانة ولا يحملكم التعصب والهوى على الاسترسال في فتواكم المخالفة للأئمة الأربعة والمخالفة للحقيقة الشرعية، والله على ما نقول وكيل ...».

2 - وتجد نفس الحجج الدامغة في تصحيحه لبعض روايات الحديث الشريف مثلما هو الشأن بالنسبة لكلمة «مسلمة»، هل هي أصل في حديث «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» إذ يقول رضي الله عنه في معرض الرد. هذا الحديث انتشر وصار يلقن للصبيان بزيادة «ومسلمة»، أحببنا أن نذكر ما قاله فيه بعض الحفاظ، وإنا لا نريد بذلك إلاّ صيانة الرواية، وإن كان لأحد دراية بهذه الزيادة فليبين أصلها المعتمد عليه، وليذكر النص المصرح بالزيادة لا مجرد وجودها مكتوبة في بعض الكتب، ولا ما يتكلفه البعض، لكون المرأة مطلوبة بالتعلم فيما يلزمها، فنقول هذا لا يغير الرواية وقد قال تعالى: [**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**] ومع ذلك فإن الأنثى مطلوبة أيضا بالسؤال عن أمر دينها، وأما لفظ ((مسلم)) في الحديث الشريف فهو صفة للشخص فيشمل الذكر والأنثى كما صرح به بعض شرّاح الحديث، وقد قال صلى الله عليه وسلم ((المسلم أخ المسلم))، وقد قال تعالى [إنما المؤمنون إخوة] والمرأة داخلة فيما ذكر إما باعتبار الشخص أو باعتبار التغليب ...إلخ.

وهكذا دواليك في مختلف العلوم والفنون، مثلما يتجلى ذلك لمن حضر مجالسه النورانية أو قرأ ما طبع من إنتاجه إلى الآن، بحيث يدرك تعمقه في العلوم النقلية والعقلية، ويلمس ذلك التوازن الدائم بين ما يبثه من علوم باطنة وما يحرص عليه من تطبيق للشريعة، ولعل ما نشر له من باب تفسير القرآن الكريم، والمتمثل في الآيات الكريمة من [يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ... الى ... وأولئك هم المفلحون] على صفحات جريدة المساء عام 1989، يقدم صورة عن هذه الثنائية التكاملية حيث يقول وهو يفسر قوله تعالى [**اتقوا الله حق تقاته**] بقوله: فحق تقاته هي التقوى الكاملة، وهي أن تصير أعمال الخير، معشوقة لفاعلها، يأتيها دون تكلف، بل بلذة وسرور، ويكفيك

قوله صلى الله عليه وسلم: ((**وجعلت قرة عيني في الصلاة**)) وعن قوله تعالى [**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**] فإنه يقول ((والموت غيب لا يعلم وقته إلا الله فينبغي للمؤمن أن يحافظ على أعمال الإسلام في جميع أوقاته لأنه لا يدري وقت حلول المنون به، فيستفاد من الآية الأمر بالمحافظة على الإسلام في جميع الأحوال، فإن ذكرها عقب الأمر بالتقوى التي مآلها تصفية الباطن، يرشد الى أن أعمال الإسلام الظاهرة حصن لسلامة الباطن، فمتى تساهل فيها أظلم قلبه وضعف إيمانه حتى ينتهي الى الكفر والعياذ بالله، قال صلى الله عليه وسلم: ((إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها، وإن زاد زادت حتى يغلف قلبه فذلك الرّان الذي ذكره الله تعالى في كتابه[**كلا بل ران على قلوبهم**] وقال صلى الله عليه وسلم أيضا ((**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**))،وبعد ما أمر المولى جل وعلا المؤمن بما يصلح أمره باطنا وظاهرا، أمره بأن ينضم إلى إخوانه المسلمين، وأن يتمسكوا جميعا بدين الله محافظين على أوامره فقال تعالى [**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا**] الآية، إلخ الشرح المبارك.

إن هذا الأسلوب في التربية والتهذيب والترقية الروحية، يطبع مجالات الوعظ والإرشاد لدى الشيخ رضي الله عنه، مع التحلي بكل الخصال والسجايا المأثورة عن جده خير الأنام صلى الله عليه وسلم في هذا الصدد، أما مجالسه فقد كان له فيها أصناف من المعارف: صنف يتصل بالعلم الظاهر فيفصل فيه ويجمل أيما تفصيل وأيما إجمال، وصنف يتعلق بالعلم الباطني فيأتي فيه بما لا يتسع له المقال، وصنف آخر يخصصه للذكر، وللصلاة على النبي صلى الله

عليه وسلم، وهذا النوع يختص به مريديه ومن ينوط بمقامه العالي دون البقية، وفي هذا يقول في مقطع من شرحه الوهبي لنونيته ((نور القدس لحضرة الأنس)).

رددن ذكر الحبيب علّنا ** إن ذكرناه نفوز بالمنى

إذا ذكرنا الحبيب الأكبر، الله سبحانه وتعالى، توجهنا إليه بقلوبنا فإنه يفيض علينا الرحمات والبركات والمعارف والنفحات والإمدادات، وهي كلها نعم سببها ذكر الله تعالى، فالذكر باب عظيم للفتوحات الإلهية .... إلخ.

1- وبشأن منوره الشريف الموسوم بـ (**فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف**))، فقد حضرتني وأنا أنوي، بعون الله، الإسهام بجهد المقل في الإشارة العابرة إليه مقولة لأحد المفكرين النقاد مفادها أن القارئ لأثر أدبي أو عملي ما، إنما يكون مبعث إعجابه به إحدى الفوائد الثلاث:

- تثبيته لمعلومات يمتلكها فيأتي الأثر ليؤكدها .
- تصحيحه لمعلومات كان المتلقي يعتقد بصوابها فإذا الأثر يبين أوجه خاطئها.
- إفادة الملتقي بمعلومات جديدة كان يجهلها.

وإني، وأنا أتصفح هذا الكتاب الجليل الأثر، أجد هذه الفوائد كلها مجتمعة فيه وأزيد، ففضلا عما يتضمنه من معلومات ولطائف تؤكد وتصحح وتفيد بما لم يكن يخطر على البال، ففيه علاج لأدواء اللسان، وإثراء لملكات اللغة والبيان، وشفاء لأمراض الجنان، في أسلوب شيق رائق، قوامه الطلاوة والحلاوة، يذلل الصعب ويفك مستعصياته، ويقرب الأبعد ويختصر مسافاته، ويأخذ بيد

القارئ ولبه، مبتدئا كان أو متخصصا في ثنايا الكتاب، وبرفق ولين، ليفتح له مغاليق هذا «الفن» فتحا لطيفا في حضور صاحبه عليه رحمة الله ورضوانه بشخصيته السمحة وشمائله ولطائفه، وأخلاقه الدمثة، وقوة حجته وعلومه التي اختصه بها الله، ولا يحصيها إلا هو عز وجل.

فالكتاب صورة حية للنفحات الربانية التي كانت تعطر مجالسه النورانية [**مجالس أسرار، مشارق أنوار، عناية قهّار، بها قد توجهنا**] كما عبر عن مثل تلك المجالس هو ذاته قدس اللّه سره .

يقول سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه: «**كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة، وكلام الذي لم يؤذن له يخرج مكسوف الأنوار**».

إنها حقيقة يستحضرها كل من له اتصال بالعارفين، أو يكَنّ لهم محبة المخلصين، وهو يسرّح ناظريه في ثنايا كتاب « فتح اللطيف»، ويشحن قلبه بفيوضات صاحبه الربانية، فالكتاب بالرغم من كونه متخصصا في «فن الصرف » وعلوم اللغة العربية التي تناولها بأسلوب شائق مشرق، إلا أنه مكسو بخصائص نابعة من ذات مؤلفه العامرة بالأنوار الربانية، المفعمة بالأسرار القدسية، معسل بطلاوة تسبي الألباب، وحلاوة تزدان بها مختلف الفصول والأبواب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهو الكريم الوهاب كتاب تم الانتهاء من تأليفه منذ أكثر من خمسة وخمسين عاما، وكان الإطلاع عليه مقصورا على فئة محدودة من ذويه و مريدي الشيخ رضي الله عنه، وتلامذته المقربين، وبعض الساعين في طبعه إلى أن شاءت القدرة الإلهية أن يظهر وينشر لتعمّ الفائدة وتتم العائدة، وكان ذلك في مستهل عام 1992، ولم يكد يمضي على طبعه شهران حتى كادت طبعته الأولى تنفذ .. فهو حقا لطيف في مجالات يدركها من أنعم الله عليهم بتذوق اللطائف والرقائق .

ومن بين أبعاد الكتاب، كونه تجسيدا للتعاون الحقيقي بين البلدان المغاربية في المجال الثقافي لا سيما ما يتصل منه بتراثها الزاخر، فقد انطلق المؤلف رحمه الله، من منظومة « البسط والتعريف» للعلامة المغربي المرحوم الشيخ عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي، آخر من قرأ كتاب « الإمام سيبويه» بمدينة فاس في غضون القرن السابع الهجري، وللعلامة المكودي – رحمه الله – مؤلفات أخرى منها شرحه لألفية ابن مالك، وشرحه الآخر على المقصور والممدود لنفس المؤلف، و شرحه على مقدمة ابن أجروم، ومختصر في مدح النبي عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأزكى التسليمات .

وقد أخذ عنه العديد من العلماء الأعلام كالعلامة ابن مرزوق الحفيد العجيسي الذي يجمعه بالشارح سيدي عمر أبو حفص رحمهما الله نسب واحد، إذ أن كلا منهما من قبيلة «عجيسة» المسيلية الشريفة الشهيرة.

وقام بالتصدير له المرحوم الشريف سيدي المولود مهري العطوي طيب الله ثراه، وهو الذي كان يحلو له دوما أن يقول لي .. أنا والشيخ عمر أبو حفص الزموري روح واحدة في جسدين، و هذا مصداقا لقول جدهما الإمام علي بن أبي طالب كرّم اللّه وجهه و رضي عنه حيث يقول:

هموم رجال في أمور كثيرة ** و هي من الدنيا صديق مساعد

يكون كروح بين جسمين قسمت ** فجسمها جسمان و الروح واحد

ومهما يكن فإن مضمون هذا المنور الشريف سيتناوله في حضوركم المختصان الأستاذان الدكتور ابراهيم قلاتي من جامعة قسنطينة والدكتور عبد الجليل مرتاض من جامعة تلمسان

أ .بلقاسم آيت حمو

فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف

للشيخ أبي حفص الزموري - رضي الله عنه -

أ.د/ إبراهيم قلاتي - جامعة قسنطينة

بسم الله الرحمن الرحيم، أحمد الله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا هو ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا رسول الله خاتم النبيين وإمام المرسلين وقائد الغر المحجلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته والتابعينن وعلى من سلك سبيلهم، وأهتدى بهداهم الى يوم الدين، ورضي الله عن الأولياء والعلماء والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

فيا أيها الكرام الأحبة أحييكم بما حيا به رب العالمين عباده المؤمنين، إذ قال لإمام المرسلين: ((**وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة**)) الأنعام 54 .

فالسلام عليكم أيها السادة الأفاضل ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد:

فإنني أحاول – في هذه المداخلة المتواضعة – أن أتحدث عن كتاب فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف للشيخ عمر أبي حفص الزموري رضي الله عنه، الذي شرح فيه منظومة العلامة المكودي رضي الله عنه، ومجال الحديث عن هذا الشرح الكبير واسع جدا لذلك أكتفي بتناول جانب واحد من جوانب كثيرة مهمة، وهو: أهمية هذا الكتاب في الدراسات العربية الإسلامية.

إن فن التصريف – كما هو معلوم – يحتاج إلى الشروح والتوضيحات، ليتمكن الطلبة و الباحثون في علوم اللغة وفنونها من فهمه واستيعابه، خاصة وأن هذا الفن ظل – لعهد طويل – مستعصيا على الإفهام لتشعب مسائله، فلا يتوصل لتحقيقها أو إدراكها على الوجه الأكمل إلا الجهابذة من العلماء الأعلام، وقدألفت (عبر العصور) مصنفات عديدة في فروعه وموضوعاته، من ذلك مثلا منظومة اللامية المخصصة لتصريف الأفعال، وكالتأليف في موضوع المقصور والممدود الذي بلغ التأليف فيه 24 كتابا قبل نهاية القرن الثالث الهجري وحده، ومن أبرز ما صنف في هذا الفن – في رأينا – منظومة « البسط والتعريف » للعلامة الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي الفاسي المغربي (ت 807 هـ) التي احتوت على الكثير من أحكام فن التصريف في أرحوزة تزيد على أربعمائة بيت غير أنها لم تنل من الاهتمام ما نالته متون أخرى طرقت الفن نفسه، ((فمتن الشافية في الصرف مثلا : أقيم عليه أكثر من 20 عملا/ من الشروح والحواشي والتقريرات، بالإضافة إلى نظمها أكثر من مرة، وترجمت إلى التركية، وشرحت بالفارسية)) ، فبالرغم من أن منظومة البسط والتعريف قد تناولت فن الصرف من جوانب أخرى فإنها لم تنل مثل ما ناله متن الشافية من الاهتمام، ولعل هذا الأمر هو من بين الأمور التي دفعت الشيخ عمر رضي الله تعالى عنه على شرح منظومة المكودي هذا الشرح المستفيض .

ثم إن وضع الحقائق العلمية لفن الصرف على صورة مصغرة (صورة النظم) بالرغم من كثرة الأبيات مدعاة إلى غموض هذه الحقائق، والتواء عبارات المنظومة أحيانا، إلى جانب البعد – ولو قليلا – عن استيفاء الشروط

والجزئيات التي تربط بالقاعدة الصرفية بحكم طبيعة النظم والمتن من الوزن والاختصار.

وعليه فلا بد من وضع شرح لها يزيل غوامضها ويقوّمُ التواءاتها، ويفك ألغازها، ويأتي بالشروط والجزئيات، وهذا ما جاء في هذا الشرح للشيخ عمر رضي الله عنه .

وعمل كهذا – بطبيعة الحال – لا يأتي إلا من الجهابذة الأعلام أمثال الشيخ الزموري رضي الله تعالى عنه، الذي لم يسبقه أحد الى شرح هذه المنظومة الدقيقة بهذا المستوى، باستثناء شرح « عبد الله المرابط الدلائي » تلميذ المكودي، والذي طبع بفاس عام 1316 هـ وقد قالت عنه فاطمة الراجحي في رسالتها لنيل درجة الدكتراه بالكويت سنة 1993 م، قالت إنه من أفضل الشروح(1) ، وأعتقد أن هذه الباحثة لم تطلع على شرح الشيخ الزموري، وإلا لكان لها كلام آخر، ذلك أن الشيخ عمر في شرحه هذا قد اعتمد على كتاب سيبويه كثيرا، لذلك تجده يقول – في أحيان كثيرة - : «... وصححناه بنقول صحيحة عن الأعلام غالبها من كتاب سيبويه»(2) .

وهناك شرح آخر لهذه المنظومة قام به الشيخ عبد الكريم الفكون بعد أن تجاوز سن الستين من عمره ولم يستطع أن يوفي هذه المنظومة حقها، فأعتذر لطلبته عن عدم اتمام شرحها بدعوى انشغاله بالحج الى بيت الله الحرام(3) لكن الدكتور أبا القاسم سعد الله يرى أن الفكون قد شغلته الرحلات عن الاهتمام بهذا الشرح(4)، ولذلك رأينا مخطوطة الفكون لم تتجاوز 204 من الصفحات، ومع ذلك يقول فيها أبو سالم العياشي في رحلته: «... مجلد قد أجاد فيه غاية

الإجادة»([5]) والصحيح أننا لم نجد شرحا وافيا لهذا الفن في مستوى فتح اللطيف في التصريف للشيخ عمر أبي حفص الزموري.

- فما السر في ذلك ؟

فالشيخ الزموري رضي الله عنه من العلماء الربانيين، الذين يعملون (بصدق وإخلاص) بدافع تقوى الله، وبهدف خدمة الفنون الخادمة – كما يسميها بعضهم – وهي التي تخدم القرآن الكريم والإسلام العظيم بشكل عميم، وهم – كما نعرف أي هؤلاء العلماء – لا يعيشون إلا للقرآن والإسلام.

وبما أن اللغة العربية عندهم لغة مقدسة، باعتبارها الوعاء الصحيح والوحيد للنص المقدس (القرآن) وباعتبارها الوسيلة الوحيدة لفهمه فهما صحيحا، كان اهتمامهم بفنونها بدافع عقائدي، وكان غوصهم في مكامنها لما تشرقه الأنوار الإيمانية في نفوسهم وقلوبهم، وإنك تلحظ ذلك بوضوح في تحليلاتهم وتعليلاتهم لمثل هذه الأمور .

ودليلنا على ذلك أمران :

الأول : أنظر – مثلا – إلى قول الشيخ عمر في مقدمة الشرح: << إن لله تصريفات بتصرف الأحوال ونفحات بتجدد الأزمان والأفعال، فأرشدنا إلى خدمة فن التصريف >> ([6]) هذا لعمرك تلميح منه إلى الدافع الحقيقي لهذا الشرح، وتصريح واضح إلى الهدف من تأليفه، وتعبير صادق عن مختلجات النفس.ويتضح ذلك كذلك في قوله وهو يتحدث عن حقيقة التصريف وعلاقته بالنحو :((وفضله من أشرف العلوم، إذ فائدة النحو هي الاستعانة على كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه الفائدة تبني عليه – يقصد

الصرف – إذ هو متقدم بالذات على النحو، لأن موضوعه جزء لموضوع النحو، فإذا وقع الخطأ في كلمة زادها التركيب بعدا، ونسبته إلى غيره كنسبة الوسيلة إلى المقصود)) (7) ، وهناك رأي شائع بين هذا الرأي ورأي غيره من الصرفيين أمثال ابن عصفور وابن جني، فابن عصفور في كتابه الممتع يقول : ((وكان ينبغي أن يتقدم علم الصرف على غيره من علوم العربية إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يركب ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب إلا أنه أخر للطفه ودقته، فجعل ما قدم عليه من ذكر العوامل توطئة له حتى لا يصل إليه الطالب إلا وهو قد تدرب وارتاض للقياس)) (8)، والشيء نفسه جاء به ابن حبيش في كتابه المنصف (9) .

ثانيا : ويقول الشيخ في حكم هذا العلم من الناحية الشرعية : ((وحكم الشارع الوجوب الكفائي، إذ هو مما تحفظ به الشريعة)) .

لقد أوضح في مجالات عديدة أن المحافظة على الدين الإسلامي لا تكون إلا بالمحافظة على العربية، والمحافظة على العربية لا تكون إلا بدراسة قواعدها وفنونها (10) .

ثم استدل رضي الله عنه بقول الشيخ درديري في شرحه على السيد خليل رضي الله عنهما في باب الجهاد عندما قال السيد الخليل مشبها لما يتعلق به الفرض الكفائي، ((كالقيام بعلوم الشرع)) (11)، ويقول الدرديري عن المقصود بعلوم الشرع : ((غير العيني وهو الفقه والتفسير والحديث والعقائد، وما توقفت عليه من نحو وتصريف ومعان وبيان وحساب وأصول)) (12) .

هذه الدوافع وهذه الأهداف لدى العلماء الربانيين تشكل – في رأينا – انسجاما يحصل بين العقيدة والعلم والعمل، وهو ما لا نجده إلا عند العلماء الربانيين أمثال الشيخ عمر أبي حفص الزموري رضي الله عنه،(والشيخ محمد البوجليلي نجل أبي القاسم، تلميذ الشيخ بالحداد رضي الله تعالى عنهم في شرحه لمقدمة الأجرومية المسمى « النور السيراجي على مقدمة الصنهاجي»، والذي – فيما أعلم – لا يزال مخطوطا حتى الآن، والذي نقل عن شيخه: أن تعلم النحو فرض عين على كل مسلم) ولعل هؤلاء العلماء الأجلاء قد تأثروا في ذلك بالانسجام المتبع في القرآن الكريم نفسه، من ذلك مثلا :

- الانسجام الحاصل بين الآيات الكونية والايات التي تتحدث في علم الأجنة وخلق الإنسان.

- والانسجام الحاصل بين الآيات التي تتحدث خشية العلماء لله، والآيات التي تصف بعض مظاهر الطبيعة وحقائقها، وهذا الانسجام له تأثير كبير في مجال الدعوة لله عز وجل.

فقد كان سببا في دخول بعض العلماء الكبار في الإسلام أمثال الفلكي الشهير «جيمس كيتر» من جامعة كامبريج صاحب الموسوعتين الفلكيتين« الكون الغامض » و « الأفلاك في مساراتها » .

وكذا الانسجام الحاصل بين الآيات التي تتحدث عن كفار قريش وعنادهم، والآيات التي تتحدث عن قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون، وغير ذلك كثير في القرآن العظيم .

والملاحظ أن هناك – في وقت سابق – بالجزائر من كانت له مثل هذه الاهتمامات وكان له البعد الروحي الذي ينتج عنه مثل هذا الانسجام، فقد وجدنا بعض الفضلاء والعلماء كانوا يشاطرون الشيخ رأيه في ضرورة إقامة شرح واف لمنظومة البسط والتعريف، فكانوا يشجعونه على ذلك، بل يلحون عليه بأن يقوم هو نفسه بهذا العمل الجليل، فهو الأقدر والأكفأ.

ومن هؤلاء العلماء الأجلاء على الخصوص: العارف الأديب والعلامة الأريب « الشيخ المولود المهري العطوي» الذي كان – يوم ذلك إماما بواد زناتي، وقد وضع مقدمة جيدة ومفيدة لهذا الكتاب النفيس، الذي نحن بصدد الحديث عنه.

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان بعض الدراسين والباحثين في الوقت الراهن بدأوا يلتفتون الى مثل هذه المصنفات العظيمة، فيدرسونها الدراسة الأكاديمية المعمقة، أذكر – على سبيل المثال – أن الطالبة قلاتي نورة من جامعة قسنطينة كانت قد أعدت مذكرتها لنيل شهادة ليسانس عام 1999 حول كتاب فتح اللطيف في التصريف للشيخ عمر، فأقامت عليه دراسة وصفية تحليلية بإشراف الدكتور يحي ابعيطيش.

وأن الدكتور عيسى بن سديرة من جامعة سطيف قدم مداخلة قيمة بمدينة برج أبي عريريج في ملتقى أقيم تحت الرعاية السامية لرئيس الجمهورية وذلك في شهر أفريل 2005 م، والمداخلة كانت بعنوان: ميزان العربية بين الشيخ عمر الزموري والشيخ موسى الأحمدي.

تناول فيها عند الأول الميزان الصرفي وعند الثاني الميزان العروضي، وربط ذلك بواضعهما الأول الخليل بن أحمد الفراهيدي.

وهناك باحث قدير بجامعة سطيف أيضا وهو الأستاذ علي بعداش يُعدُ الآن رسالة علمية (ماجستير) في اللغة العربية موضوعها: الميزان الصافي، أخبرت أنه جعل الفصل التطبيقي للدراسة كتاب «فتح اللطيف في التصريف» للشيخ عمر رضي الله عنه، نموذجا.

والملاحظة المسجلة هنا أن الدسوقي أكد ما ذهب إليه الدرديري في هذا الشأن، قد تحقق.

ملاحظة :

وبلا ريب فإن هذه الالتفاتة من الدارسين والباحثين اليوم، ستصدر عنها في المستقبل القريب- إن شاء الله – مؤلفات عديدة، منها ما يتناول المنهجية التي أتبعها الشيخ في هذا المنور الشريف، ومنها ما يتناول الآراء العميقة التي برزت بوضوح في أبواب الصرف في هذا الكتاب، ومنها ما يتناول جوانب أخرى وهي كثيرة، نسأل الله اللطيف أن يفتح لهم مكامن فتح اللطيف، لتبسط بها للأجيال أبواب التصريف.

وصل اللهم وسلم وبارك على رسولك الأعظم ونبيك الأكرم سيدنا محمد ولآله وصحبه وسلم، والسلام عليكم ورحمة الله.

د/ إبراهيم قلاتي

الهوامش:

(1) فاطمة الراجحي « شرح المكودي على ألفية بن مالك» رسالة الدكتراه مقدمة بجامعة الكوبة سنة 1993 ص 40.

(2) عمر الزموري «فتح اللطيف» ط 1 ديوان المطبوعات الجامعة – الجزائر 1991 ص 25.

(3) يؤكد الفكون أن أسباب السفر والارتحال حالت دون جلب النقول والشواهد والغوص في شرح المعاني، انظر المخطوطة فإنه تحدث عن ذلك في مواطن عديدة من الشرح، وانظر المقدمة التي أوضح فيها كثرة تنقلاته الى البيت الحرام.

(4) أبو القاسم سعد الله « عبد الكريم الفكون» دار الغرب الإسلامي بيروت- لبنان 1986 ص 182.

(5) أنظر « رحلة أبي سالم العياشي « (مخطوط) ص 391

(6) «فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف» ص 25 .

(7) المرجع نفسه ص47 .

(8) أنظر مقدمته لكتابه الممتع في التصريف.

(9) أنظر مقدمته لكتابه المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني .

(10) فتح اللطيف (من ذلك مثلا ما جاء في ص47).

(11) ، (12) أنظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير في مفتتح باب الجهاد وقد ورد هذا الباب في الجزء الثاني ص 196 من طبعة قديمة جدا لم تذكر فيها دار النشر ولا تاريخه.

الطيف الوريف في فتح اللطيف

أ.د./عبد الجليل مرتاض (جامعة تلمسان)

الأرض المعطاء

وأنا في مدينة برج بوعريريج الأرجة المَعْطَير التي تتفيّأ بدورها ودروبها وقطانها جودًا وترحابًا، لأشارك في أحد المحافل العلمية التي أقيمت خصّيصا للعلامة موسى الأحمدي، اكتشفت أكثر، مما قرأت وسمعت ، أن هذه المنطقة البَعْرَجَيّة الشاهدة على النضال والصمود والجهاد تغصّ برجالات علمية وثقافية وصوفية وفكرية وإبداعية، الأشهرُ من نار على علم منها غَمر مَنْ لم يُقيّض لأنواره إلاّ أن تشتعل مصباحًا تَلو مصباح، ومن هذه المصابيح التي أنارت الدجى هداية للساري، وتنويرًا للقاصي والداني أوْحَدُ زمانه، وتاج عصره الإمَامُ عُمَرُ أبو حَفْصٍ الزُّموريُّ، رحمه الله، جزاء بما قدّم وأخّر، وثوابا بما علّم وعمّر، وأجرا بما سلّم وقدّر.

أقول، وأنا في هذه الربوع المقراء، خطر ببالي شعور ظلّ يغامرني طوال وبعد وجودي، ثمّ ما لبث أن حثّني حثًا، وأمرني أمرًا بأن أجنح صوب برج زمورة لعلي أحظى برضى هذه البلدة الطيّبة التي أنجبت عالمًا جليلاً، ووليًا طهورًا صالحًا في حجم الشيخ الزموري ورَعًا وعلمًا وخُلُقًا، ومما شَجَّعني أكثر التسهيلات التي حَظَيتُ بها من بعض أبناء هذه البلدة الّذين يحبون الشيخ حبًّا روحيًا وأبويًا يفيض شوقًا وحنانًا صافيين.

ما كدت أطل على بلدة الشيخ التي كرَّمها الله بمثواه الأخير فيها إلى يوم البعث، حتى سبقني، رغمًا عني، شيء ما إلى فكري: «الآن عرفت لماذا سُمِّيَت هذه البلدة برج زمورة؟»، ودون الحديث عن «زَمُورة» التي نحسب أنها لا تمتّ بصلة دلالية ولا اشتقاقية إلى مادة «زمر» بقدر ماهي إلى مادة «رمز»، فإن طبيعة البلدة كأنها حصن محصّن بعلوّ قمتها، ووعورة تضاريسها، وائتمان سكانها من أي مباغتة من مكروه عدائي، لأن إطلاق «البرج» عليها إما هو تشبيه لأحد بروج الفلك التي كان العرب يقدّرونها اثنى عشر برجًا، وإمّا أريدَ بذلك البرج بمعنى الحصن، كقوله تعالى: **(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ المَوتُ، ولَو كُنتُم فِي بُرُوجٍ مُشيَّدة)**، ولربما يطلق البرج أيضا على قصر من القصور أو على بيوت تُبنى على نواحَي أركان القصر، وقد يعترض معترض بأن لنا مواضع كثيرة تسمى برج «كذا»، وأشكالها مستوية، والجواب الّذي يحضرنا أن هذه الأماكن لم تُسمَّ بداعي التشبيه والتمثيل والتخيّل، بل بداعي ما شُيّد فيها فعلاً من هيئة على أشكال الأبراج لأغراض المراقبة والاهتداء ونحوهما، وأما برج «زمورة» وكل ما كان على شاكلته الطبيعية فالغالب على الظنّ كما أشرنا.

إنّها بلدة معلّقة في هضبة صخرية وترابيّة تتخلّل بُيُوتها التي أتى على أشكالٍ منها البلى والقدمُ، أشجارٌ متفاوتة في طولها وعرضها وأفيائها، ومتنافسة في تنوع عطائها، وحلاوة ثمارها، لا تسمع إلا عصافير وقد روّحت عليك بتغاريدها المتناغمة، وخرير عيون وغدران رقراقة جارية مازجها مجاري المياه منسابة نحو أسفل الهضبة، ومن بين ما ترى من دورها المتلاصقة والمتناثرة و المسجد الصغير المتواضع في شكله الهندسي، وجدرانه البسيطة، العظيم في جوفه الذي تخرج منه على يد الشيخ الجليل عمر أبو حفص الزموري أدباء فطاحل، وخطباء مصاقع، وسياسيون عباقر، ومجاهدون أشاوس.

فقدت توازني الذّهني الّذي لم أعد أحس به، وإذا بي أجد نفسي في أقصى جهة غربية، في قرية تدعى «لخماس» لا وجود لها على وجه الخريطة الجزائرية، حيث هناك مسجد صغير مقابل لمسجد الشيخ الزموري، تعلمت فيه زهاء ست أو سبع سنين القراءة والكتابة، وكدت أحفظ فيه الستين حزبًا على يد والدي عبد القادر بن أحمد بن أبي طالب بن أبي طالب الّذي تفقه عليه رعيل من القرى المتجاورة وأماكن قاصية ودانية كان لعناصر منهم شأن عظيم خلال مرحلة الثورة وما بعدها، وكان رحمه الله أول من حفّظنا كتابةً على اللّوح بالصلصال قصيدة المصلح الإمام عبد الحميد بن باديس:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب

المسجد ودوره التثقيفي والرّوحي

سرى في نفسي وأنا أحملق نظراً في مسجد الشيخ أبي حفص الزموري، شيء ما، ما لبث أن تمازج وَلَهًا وحُرقة ولكن لم أبْدهَ حتى لا أكدّر ما كنَّا فيه من سياحة روحية وثقافية، إنه تساؤل: «حتى متى يشرح الله صدر هيئة أو وزارة أو مجلس أو جمعية لذويها صلة بالموضوع، لعلها تلتفت ذات يوم إلى هذه المساجد العتيقة المترامية في مداشرنا وقرانا، وجبالنا، وشعابنا،... عفا الزمان على الكثير منها مما سلم من بطش الاستعمار؟ لماذا لا تنهض هذه الهيئات بترميم هذه المساجد وإعادة بناء ما خرب منها، وإلصاق لوحات عليها تحمل أسماء الفقهاء والمدرسين والعلماء الّذي بلّغوا فيها كتاب الله ولغة نبيّه سيّدنا محمّد بن عبد الله صلى اللّه عليه و آله و سلّم، وعلّموا بداخلها علومًا نقلية وعقلية، وبثوا من خلالها أشعة روحية وفكرية وتعليمية جليلة لا يستطيع أحد أن ينكرها أو يردّها.

أجل، إن ما نهض به أولئك الشيوخ التقاة الورعون من جهود مضنية ومخلصة مقابل أجر لا يسمن ولا يغني من جوع كان يدفعه قرويون إن أمطرت السماء، وأغلّت الأرض،... من أجل تعليم النشء:

يا نشء أنت رجاؤنا   وبك الصباح قد اقترب

وتربيته وتحفيظه القرآن العظيم، وشَفْع ذلك بتبليغ الطالب ضروبًا من العلوم اللسانية والفقهية، ليتوزعوا بعد الإجازة في أقصى القرى النائية والجبلية مواصلة للرسالة ذاتها، يجب أن تنحني له الأجيال، ويقرّ به التاريخ، ويُعادَ له الاعتبار، يجب أن يُبعَث ذات يوم أولئك الروحانيون البررة الّذين أراهم الآن مع الشهداء والصالحين تعْلق أرواحهم من ورق الجنة مصداقًا لحديثه صلى اللّه عليه و آله و سلّم: «**أرواحُ الشهداءِ في حواصل طيْرٍ خُضرٍ تَعلُقُ من ورقِ الجنة**»، وهؤلاء إن لم يكونوا شهداء دم، فهم شهداء مداد، أو ليس مداد العالم إلا كدم الشهيد؟

ينبغي أن يعترف كل وطني لا يستغني بحاضره دون ماضيه القريب والبعيد، بأن أولئك المكوّنين الربّانيّين في المدن والحواضر غطّوا فترة تعدّ من أحلك الفترات التي عاشتها الجزائر في تاريخها الحديث، ولولا هؤلاء، لكانت حال اللغة العربية، ونهج ديننا الإسلامي الحنيف، وما وجدنا عليه آباءنا من سُنّة نبويّة شريفة أشياء أخر، ولا أدلّ على ما ألمح إليه أن مدارسنا وجامعاتنا لم تزد ولا أنقصت مما ورثه الشعب الجزائري بكلّ شرائحه المتباينة من فطرة دينية سليمة تولد بولادتنا، ونَحْيَى بها، ولا تزول بزوالنا.

شهادات علمية حول الرّجل

إن شخصية يدلي فيها بشهادته سياسي محنّك ومناضل صلد، ومجاهد مغوار، مثل الأستاذ عبد الحميد مهري الّذي تعلّم عليه الكثير من العلوم العقلية والنقلية، وشخصيات وطنية وثقافية وعلمية أخرى، لا يترك أدنى مجال لريشة كسير مثل ريشتي أن تضيف ما تضيف إلاّ خُسفت بشهادات حية لم تتمكّن من حضور هذا المحْفَل العلمي المقام من المجلس الأعلى للغة العربية رعاية وإشرافاً لصيقين من رئيسه الأستاذ الدكتور محمد العربي ولد خليفة الّذي لم يأل جهدًا، ولا ادّخر وسعًا في أي مأمورية تناط به لخدمة الجزائر، والجزائر فقط، وعلى الرغم مما اضطلع، ولا يزال يضطلع به، سيفا وقلمًا وتسييرًا، وحنكة سياسية ودبلوماسية لا تبرح في طي الكتمان لا النسيان، فإني أحس، وكأنّ الرجل يستقلّ كل عرق يسيله، ويستصغر كل فكر يعتصره، وقلم يرقّصه،...

وإذا لم يَحْظ الدكتور محمد العربي ولد خليفة بوصفه أديب الفلاسفة، وفيلسوف الأدباء في جزائرنا الحديثة بأن يُحتضن من الشيخ الزموري، ويفيد من دروسه، ويقتبس من نورانياته بصورة مباشرة، فإن ذلك لم يمنعه من أن يدلي بشهادته الموضوعية التي طبعت خصال الشيخ «ولكن ليس من الضروري أن نتعرّف مباشرة على كبار القادة والساسة العظماء والحكماء من أهل الذكر والفكر، لكي نقدر مقاماتهم ونستفيد من آثارهم وتجاربهم، فقد تكون المعاصرة نفسها حجابًا تدفع البعض لإبراز النقائص والمساوئ والتقليل من شأن الفضائل والمكارم»، مضيفًا: «ولم تُلْهَ الشيخَ رحمه الله مشاغلُ الدنيا وَزُخْرُفُهَا عن التأليف في علوم العربية التي أحبها وسعى إلى إحيائها

في القلوب قبل الألسنة لأنها المفتاح الّذي لا غَنَى عنه لفهم القرآن وإدراك ما يزخر به من إعجاز وأسرار،... ولعله من المفارقات التي تثير الإعجاب أن يتميز المغاربيون عربًا وأمازيغ زواوة بوجه خاص بالفصاحة والعناية بعلوم العربية والفقه والتفسير، ومنه الشيخ الزموري الّذي سار على خطى المقلتي وابن معطي الّذي اعترف له ابن مالك في ألفيته الشهيرة بالسبق، وكذلك المكودي الّذي عكف الشيخ أبو حفص على شرحه والتعليق عليه وتيسير الاستفادة منه».

لماذا التّصريف؟

ومما دار بخلدي أيضًا، وأنا مشدود إلى تلك الدور المسندة إلى تلك الهضبة الصخرية، بعمد ودون عمد، كيف فكر هذا الشيخ المنصهر في صوفيته والسائح بلا حدود في روحانياته، أن يولّي انتباهه شطر فرع من فروع علوم اللسان العربي، قلما اشتغل به فقهاء اللغة العرب قياسًا إلى إقبالهم على فروع لسانية أخرى؟

إن منطقة منعزلة كثيفة بتنوع مظاهرها الطبيعية والجمالية الساحرة، وساكنة بهدوئها، وقوية بأخيلتها،... لا تدعونا إلى أي استغراب لو أنجبت شعراء روائيين وفنّانين،... ومنهم من رزقوا حظوظًا متفاوتة في ذلك فعلاً، أما أن يعكف شيح جليل وقور على الاشتغال بعلم التصريف، فهذا إن لم يدع إلى أي عجب، فلا يخلو من تساؤل، وما يحضرنا من تقدير لعله يكون مخرجًا مخلّصا لنا أن الشيخ استوعب علوم اللسان العربي استيعابا يلمسه كل من

وقف على بضع فقرات من شرحه وتحليله المنظومة الصرفية المكودية، لكن لماذا هذه المنظومة بعينها دون سائر المنظومات الصرفية والنحوية واللغوية الأخرى، وما أكثرها؟!

صاحب المتن

إننا لم نقف حتى الآن على السيرة الذاتية للمكودي حتى نقف على سبب ما جعل الشيخ الزموري يقبل على شرح منظومته الموسومة «البسط والتعريف في التصريف»، إذ أنّ المصادر القليلة التي أشارت إليه كانت إشارتها شحيحة تدل على جهل أصحابها بسيرة المكودي أو لأن هذا الأخير ظل شخصية مغمورة، ولا أدل على ذلك أن العيدروسي في «النور السافر» وابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» يزعمان أن الرجل توفي سنة 901هـ، في حين أن بعض المصادر الأخرى تجعل وفاته سنة 801هـ أو 807هـ، بينما السيوطي المتوفى سنة 911هـ يقول في ترجمته: «عبد الرحمان بن علي بن صالح أبوزيد المكودي صاحب شرح الألفية، وشرح الآجرومية، ويعرف بالمطرزي، لم أقف له على ترجمة ، لكن أخبرني المؤرخ شمس الدّين بن عزمي أنه وقف على ما يدل أنه كان قريبًا من الثمانمائة»، ويظهر أن الفيروز أبادي (817هـ) لم يبلغ سمعه حَسٌّ من أصداء المكودي أو يكون قد ألّف «البلغة في تاريخ أئمة اللغة» قبل بلوغ صداه إليه، لكن هل ذُكر في «طبقات النحاة واللغويين» لابن قاضي شهبة (851هـ)؟ ومع ذلك فإننا نرجّح أن وفاته كانت بفاس العامرة في 11 شعبان سنة 807هـ مدينة العلم والعلماء.

منظومات تعليمية لسانية

ونحن إذا التقينا إلى بعض آثار المكودي التي تضم، ممّا تضمّ مقصورته في مدح النبيّ محمّد، وكتابه الآخر المسمّى «عمدة البيان في معرفة فرائض الأعيان» لانتبهنا إلى جمع الرجل بين العلوم العقلية والنقلية التي كانت سمة من سمات عصره الّذي بدأ المنقول فيه يهيمن على المعقول، الأمر الّذي جعل كل معقول يؤول شيئًا فشيئًا إلى منقول، فكان ذلك خروجًا من عصر إبداعي مشرق ودخولاً في عهد اجتراري لما سبق فهذا بن مالك (672هـ) يقلّد من تقدّمه أمثال الإمام مهذب الدّين مهلب بن حسن بن بركات المهبلي (541-582هـ) في منظومته التي سمّاها «نظم الفرائد وحصر الشرائد» في تسعة وتسعين بيتًا ذاكراً فيها تسعًا وأربعين مسألة غير ملتزم ببحر من بحور الشعر مستخدمًا مصطلحين يتكرران طوال الكتاب «نظم ذلك» و»تفسير ذلك»، فضلاً على تقليده الإمام ابن معطي بصريح عبارته:

وتقتضي رضا بغير سخط
فائقَةً ألفيَّة ابن مُعْطِي
وهْو بسَبقٍ حائز تفضيلا
مُسْتَوجِبٌ ثَنائي الجميلا
والله يقضي بهباتٍ وافرهْ
لي ولهُ في درجات الآخرَهْ

علما بأن ألفية ابن معطٍ (628هـ) شرحها ابن الخباز ثم ابن الحاجب (646هـ) وسواهما، ويُقَدَمُ فتح بن موسى الخضراوي (663هـ) على نظام المفصّل للزمخشري، وقام بالعمل نفسه الشيخ عبد الرحمان بن إسماعيل المعروف بأبي

شامة (660هـ)، ويُقْبَل حسن المرادي (749هـ) على وضع أرجوزة في مخارج الحروف وصفاتها وأخرى في معاني الحروف، على أنه ستظهر شخصية نحوية تسمّى زين الدّين شعبان بن محمد القرشي الآثاري (765-828هـ) لتنحو نحو ابن معط وابن مالك في صنع ألفية تُدعى بين الدارسين «ألفية الآثاري»، أما صاحبها فسمّاها «كفاية الغلام في إعراب الكلام» متأثراً بالناظمين ابن مالك وابن معط :

وهذه ألفيةٌ للمُبْتَدي
ليعرف الإعراب في الكلام
سمّيتها كفاية الغلام
الاسم ثم الفعل ثم الحرف
فصولها عشر جَلاَها العُرْف
والجزم في الإعراب تستقرّ
والرفع ثم النصب ثم الجرّ
عاشرها ومنتهاه الوقف
وعامل وتابع والحذف
وبعدها خاتمة الفصول
وقبلها فاتحة الأصو
معينةٌ على بلوغ الممقْصِدِ
قايمة «بأوضح المسالِك»
عن «ابن معطٍ» وعن «ابن مالكٍ»

لماذا الأراجيز التعليمية؟

أضحت الأراجيز التعليمية سنَنًا متَّبعا لأسباب تنبئ عن نفسها، ومنها أن الناس فكّروا في وسيلة تعليمية تُجمَل وتضمن دوام العلوم اللسانية والفقهية والقرآنية وحتى الطبية، فلم يجدوا مَوْئَلاً يؤولونَ إليه غير ارتكازهم على نظم تلك الفنون والعلوم بأوصافها وقواعدها وتباين أو توافق العلماء فيها، وذلك ما بدأ يطفوا منذ عهد مبكر في أشهر الحواضر العربية الإسلامية، ليختصّ بذلك لاحقًا بوجه أخص المغاربة والأندلسيون نظرًا لبعدهم عن موطن هذه العلوم، وتأخرهم فيها، فكان لابدّ من وسيلة تغني القوم عن الكتابة التي لم تكن أمرًا هيِّنا في مجال النسخ والنشر والتوزيع، وهاهي ذي السنون والقرون تمضي، ويحذو الشيخ الزموري حذو من تقدمه من العلماء باعترافه النزيه الصادق أنه لم يعد إلى المنظومة المكودية مدونة، بل اعتمد على ما سمعه وحفظه عن شيخه أحمد بن الحسين بن قدور (1355هـ) الّذي كان يحفظ هو الآخر –رحمه الله- جميع المتون حفظًا صحيحًا، بما في ذلك الكتاب لسيبويه والتسهيل لابن مالك اللّذين كانا يغلبان عليه، على الرغم من محاولة الشيخ الزموري عبثًا أن يحصل على ما كتبه شيخه من نقول وشروح.

شعر العلماء غير شعر الشّعراء

وإذًا، فليس عجبًا أن يقدم عالم متمكن ضليع مثل المكودي على نظم قواعد التصريف بسيطة ومعقدة شعراً، طالما أن ما أقدم عليه ليس إلا سمة متبعة من سمات عصره، وطالما أن توثيق العلوم نظمًا لا علاقة له بالقرائح الشعرية التي يتميز بها شعراء مبدعون لهم عالمهم غير عالم العلماء، لأننا لا نعلم

شعرًا متصفًا بشاعرية حقيقية نظم علمًا، ولا عالمًا متسمًا بعلمية ناصعة أبدع شعرًا، وحتى من أصابوا سهمًا في ذلك انطلاقا من سليقيتهم، فيُنعت بأنه من شعر العلماء، فالخليل بن أحمد الّذي كان ذكيًا فطنًا، ذهب في فنون الشعر كل مذهب، ولكن شعره تسري في معانيه برودة ونزعة إلى إعمال العقل والأحاسيس السطحية، فكان يأتيه رغمًا عنه، وهو يريده، وانظر إلى نموذج شعري للمكودي :

وقفتُ بباب الله وقْفَة ضَارعٍ
وقلت: إلـهي إني لك قَاصدُ
ولست تراني واقفًا عند باب مَنْ
يقول فتاه: سيّدي اليوم راقِدُ

لتقف على مفترق الطرق الواضح بين شاعر شاعر، وعالم شاعر، وانظر مرة أخرى لنموذج شعري آخر لابن معطٍ :

قالوا: تلقَّبَ زينُ الدّين فَهْوَ لَهُ
نَعْتٌ جميلٌ به قد زُيِّنَ الأُمَنَا
فقلت: لا تَعْذِلُوه إنّ ذا لَقَبٌ
وَقْفٌ على كلّ بخْسٍ والدليلُ أنا

للتيقَن أنّ العالمين كليهما يتكلمان أكثر مما يقولان شعرًا نابعًا من إحساس بعيد وعميق، وهذا لا يتصف به إلا من رزق حظوة شعرية دون ساحل، وخيالاً جامحًا لا يعترف بحدود لفضاء.

وإذا كنا مقتنعين بأن السبب المباشر الّذي أوحى إلى المكودي نظم مدونته التصريفية الطويلة على غير ما نعرفه في المنظومات التي وقفنا عليها (88 بيتًا لدى ابن مالك، والآثاري لم يتناول بابًا للتصريف)، والمتعلق بنموذج العصر المتّبع لدى اللغويين وغير اللغويين، فإن سبب إقدام الشيخ عمر بن أبي حفص الزموري على شرح منظومة المكودي، وهو لا يبرح في ريعان شبابه، وأوج قوته: «نحيط أعزاءنا القراء علمًا بأن الانتهاء قد تمّ منذ نحو أربعين سنة»، سبب سيذكره في «فتح اللّطيف»، أي أنهى مؤلفه في آفاق واحد وخمسين وتسعمائة وألف وذكر المؤلف -رحمه الله- أنه وجد الأبواب موصدة، والأسماع صماء أمام طبعه، «وقد حاولنا طبعه مراراً، ولكن الظروف لم تساعد ذلك إلى هذا التاريخ»(11)، بل حتى هذا التاريخ الّذي أشار إليه المرحوم صادف عامًا بعد وفاته، ما دام الكتاب لم ير نور طبعه إلا في سنة 1991م.

المكودي وألفية ابن مالك

إن الباحث نفسه يذكر أنه تم حفظ واستيعاب «البسط والتعريف» لأبي زيد عبد الرحمان بن صالح المكودي (807هـ)، وهو غير شرح هذا الأخير لألفية ابن مالك (600-672هـ)، وهو شرح نحا فيه المكودي منحى دقيقًا يدلّ على ضلاعة الرجل في علوم اللسان العربي ظاهرها وخفيها، شاذها ومطردها، وهو منحى تعليمي في خطابه، لكنه أكاديمي يتسم بالشمولية والرشاقة في تقديم المادة اللسانية، حتى كأنك لا تحس إطلاقًا، وأنت تتلقى دراسته، بأنه مجرد شارح أو دارس أو ميسّر لألفية ابن مالك، بل يغمرك انطباع بأن ما يقدّمه لك من مادة نحوية وصرفية وصوتية ولهجية ليس مستقًى من منظومة لناظم آخر سواه.

لسنا هنا بصدد التقليل من شأن دراسي المنظومات اللسانية الآخرين، ونحن ننوّه بالمكودي، ولكن هل كان ابن خلدون منصفا، وأنت تقرأ له: «مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه» أو: «إن ابن هشام على علم جمّ يشهد بعلوّ قدره في صناعة النحو، وكان ينحو منْحاة أهل الموصل الّذين اقتفوا أثر ابن جنّي واتّبعوا مصطلح تعليمه»؟ الأمر الّذي أوحى إلى أحد شرّاح أعمال ابن هشام الأنصاري (761هـ) أن يقول: «هو الإمام الّذي فاق أقرانه، وشأى من تقدّمه، وأعيا من يأتي بعده» .

إن من يقف على باب نحوي واحد لسيبويه يخجل من أن ينعت سابقًا أو لاحقًا بأنه أنحى من سيبويه أو يَشْؤُوهُ سَأْوًا، وهو الإمام الّذي لا يُبارى، والعالم الّذي لا يُجَارى،... وإعجاب ابن خلدون (732-808هـ) بمُغْنَي ابن هشام لم يُنسه أن يقول: «فهذَّب (الخليل) الصناعة (النحو)، وكمّل أبوابها وأخذها عنه سيبويه، فكمّل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدها، ووضع فيها كتابه المشهور الّذي صار إمامًا لكل ما كتب فيها من بعده» .

ولا أحسب أن ابن خلدون كان على علم بالمنظومة التصريفية للمكودي المتوفّى بقرن قبل وفاة ابن خلدون، بل ربما لم يكن على علم بشرح الرجل ألفية ابن مالك، إذ أشار إلى الأرجوزتين الصغرى والكبرى لابن مالك، والأرجوزة الألفية لابن معط، دون التعريج على منظومة المكودي.

أيًا كان الأمر، فإننا لا نقلّل مما قدمه العلامة ابن هشام للغة العربية من بحوث علمية لا تدل إطلاقًا على أن صاحبها عاش في عصر غاب فيه الإبداع

والابتكار وإعمال الفكر والنظر، غير أن شرح ابن هشام لألفية ابن مالك يختلف منهجيًا عن شرح المكودي، فالأول ينطلق من مدونة وهمية ظنًا منه أن المتعلمين يحفظونها، والمحتاج إليه الشرح والبسط.

دوافع وضع فتح اللّطيف

وإذا كنا نحسب أن العامل الديني يعدّ من أحد العوامل القوية في إقدام العلامة أبي حفص على إخراج هذا العمل الشاقّ الّذي لا ينهض به إلا ذوو العزائم والهمم، والراسخون رسوخًا بعيدًا في علوم اللسان العربي، فإن العامل السياسي غير مستبعد، فتاريخ التفكير في تأليف هذا الكتاب استنادًا إلى بعث التراث اللساني العربي الأصيل، زامن حملات استعمارية شرسة في مواجهة واضطهاد الساسة المصلحين، والوطنيين المثقفين الغيورين الّذين وقفوا حيواتهم، ونذروا نفوسهم فداءً للنهوض باللغة العربية التي حوصرت في المدن وخارج المدن، ونحمد الله أن فرنسا نهجت نهج التجهيل، وتشجيع الأمية وسط المجتمع الجزائري، ولم تكن تعلم أنها بذلك كانت تقدّم خدمات جليلة للغة العربية، وتحافظ على الثقافة الوطنية الفطرية للشعب الجزائري.

وَ لمَ نتساءل عن سبب صناعة «فتح اللّطيف في التصريف على البسط والتعريف»، والرجل نفسه يقول: «أما بعد، فإن مما يجب حفظه على الأمة الإسلامية القرآن العظيم،إذ هو البحر المحيط بجميع الواجبات الموصلة إلى دار النعيم، فيُلْزَمُ أهلَ الإسلام فَقْهه وفهمه الّذي أراده المنَزل الحكيم، وذلك لا يتمّ لهم إلا بحفظ وسائله التي هي أبواب لفتح خزائنه موقفه على عجائبه وأسراره وفضائله، ومن ذلك حفظ علم العربية الّذي هو لسان الرسول صلى

اللّه عليه و آله و سلّم المخصوص بالكمال، وقد قام بخدمة ذلك كثير من الرجال، فشكرًا لهم على ذلك القيام الّذي نالوا به كل مسؤول، وبلغوا بالصدق في خدمته كل مأمول، ولكن إن لله تصريفات بتصرّف الأحوال، ونفحات بتجدد الأزمان والأفعال، فأرشدنا بتوفيقه إلى خدمة فن التصريف وأطلعنا على متن في ذلك الفن يسمّى البسط والتعريف، وهو نظم يزيد على أربعمائة بيت، فيه عظيم النفع لمن أراد بالفن الوصال، واشتاق لحفظ العلم والقيام بحقوق كل الكلمات وفهم الأمثال للعلامة الكبير الإمام المكودي شارح الألفية المشهور،...» .

وهناك سبب آخر أشار إليه العلامة الزموري ويكمن في أن هذه الأرجوزة التصريفية للمكودي لم تُشْرح شرحًا يليق بمقامها على تعاقب الأزمان «وهذا المتن لم يفتحه أحد بما يليق بالمقام على تعاقب الأزمان»، مع أن أقلها شأنًا، وأحصرها علمًا ربما شُرح عشرات المرات شرحا تراكميًا ثقيلاً ومعقدًا.

المنهج التصوّري للكتاب

وأما منهج الشيخ الزموري، فإنّا نتركه هو وحده يتكلم عنه: «وسميناه بفتح اللطيف في التصريف، على البسط والتعريف، وقدمنا الفن في العنوان إشارة إلى أنه هو المقصود في الإظهار،ولهذا جعلنا شرحه أولاً ما يتجلّى به المراد من غير نظر لما يليق بالمتن حسب الأنظار، وسمينا هذا المقدّم بسطًا، فناسب ما يُرامُ من تلك الأقوال، وأوردنا فيه مفردات كثيرة من أصول مواد اللغة وفسّرناها فاتّضحت بذلك الأمثالُ، وصحّحناه بنقول صحيحة عن الأعلام، غالبها من كتاب سيبويه الإمام، وحسَّنّاه بأبحاث وتعليلات فتجلّى فيه بذلك

وجه الجمال، واستوفينا ما ذكره الإمام من أبنية الأصول والمزيد، وكذا أمثلتها مع تفسير معانيها اللغوية غالبُها من القاموس المحيط...، وقرّرنا مهمّ مسائله بالتخليص والترتيب، فكمُل كلّ الكَمَال، ثمّ علّلنا المتن بتحليل اتصل بأجزائه،.. وسمّيناه بالتعريف،... وإنا اقتصرنا في الباب الأوّل لوضوحه على التعريف وكذا في الآخر لأنه مقرّر لدى أهل التأليف» .

د/ عبد الجليل مرتاض

بيبلوغرافية البحث

1 - فتح اللّطيف في التصريف على البسط والتعريف عمر بن أبي حفص، ديوان المطبوعات الجامعية، ط: 1/1991.

2 - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين السيوطي، دار المعرفة بيروت.

3 - الصحاح، اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط: 3/1984 دار العلم للملايين بيروت.

4 - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط: 2006، المكتبة العصرية بيروت.

5 - مقدمة ابن خلدون، ط: 2006، دار الفكر بيروت.

6 - شرح المكودي على الألفية، ط: 2/2002 دار الكتب العلمية بيروت.

7 - ألفية الآثاري، ط: 1/1987، عالم الكتب بيروت.

8 - نظم الفرائد وحصر الشرائد، ابن بركات المهلبي، ط: 1/1986، مكتبة الخانجي القاهرة.

الذكرى 18 لوفاة العلامة الشيخ
عمر أبو حفص الزموري

شهادات وتقاريظ

مآثر الشيخ الزموري
في خدمة اللغة العربية (شهادة)

الأستاذ/عبد الحميد مهري

بسم الله و الصلاة و السلام على رسول لله صلى الله عليه و سلم، بعد أداء واجب الشكر و التجلة للمجلس الأعلى للغة العربية ممثلا في شخص رئيسه الأستاذ الدكتور محمد العربي ولد خليفة على هذه الإلتفاتة الطيبة نحو عالم جليل من علماء الجزائر السلفيين البررة و هو العلامة الشيخ أبو حفص الزموري رحمه الله من خلال إحياء مآثره في إبراز إسهاماته في نشر الثقافة العربية الإسلامية عموما و خدمة اللغة العربية وترقيتها خاصة.

إن الجانب الذي تناوله السادة الفضلاء المحاضرون من علم الأستاذ الشيخ عمر أبو حفص الزموري هو الجانب المعروف، و لكن هناك جوانب أخرى عرفناها عنه و نحن صغار في رحابه، فقد كان مثالا لعلماء السلف الصالح الذين استوعبوا تقريبا علوم العصر كلها، و ألموا بجميع المعارف، فعلى يديه درسنا مبادئ المنطق، و المواريث، والعروض ثم حساب المثلثات، كما تعلمنا عنه المعادلات من الدرجة الأولى و الثانية في علم الحساب، وقد كانت له طريقة فريدة من نوعها في تقريب هذه العلوم للطلاب حتى يتمكنوا من فهمها وكان إلى جانب غزارة علمه و موسوعيته، يمتلك هذه الموهبة التي أعطاه الله إياها والمتمثلة في قدرته على تقريب مفاهيم العلوم والإسهام الواسع في العلوم العصرية (الدنيوية) أيضا من فلك، و أدب و بلاغة و علوم لغوية، كل ذلك كان يسهم به من خلال تلقيننا لمبادئه بطريقة أقرب ما تكون إلى البداغوجيات

الحديثة، كما كان يحرص على تعليمنا أكثر من كل شيء آخر مبادئ الأخلاق، و الفهم الصحيح للإسلام، و التمسك به، رحمه الله رحمة واسعة والسلام عليكم و رحمة الله وبركاته.

الأستاذ/ عبد الحميد مهري

الشيخ عمرأبو حفص كما عرفته

(شهادة تلميذ ومريد)

أ / عبد المجيد بن داود

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على نبيه الكريم وبعد ..
معالي السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية
أصحاب السعادة والسيادة
أصحاب السماحة شيوخنا الأفاضل
أيها الملأ الكريم ..
حياكم الله وبياكم .. وسلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته ..

ماذا عساي أن أقول لكم فيما قيل عن الشيخ عمر أبو حفص طيب الله ثراه ورضي عنه وأرضاه ، وفيما سبقني إليه أهل الفضل من فحول الحصافة والفصاحة من رجال الفكر والثقافة ، الذين تناولوا بعضا من مآثره العلمية ولمحات من مزاياه الروحية النادرة، وإننا مهما اجتهدنا في توصيف مناقبه واستجلاء سجاياه ودبجنا فيه من سحر الكلام تحبيراً وتعبيراً، فإننا لا نفي بحقه ولا نطمح لإنصافه، وما جمعنا الكريم هذا إلا لفتة عرفان، وشهادة حق ووفاء، ووقفة إجلال وتكريم، لحرمة الشيخ وعظيم شأنه وقدره بيننا حيا وميتا، لأن حرمة العالم في أمته كحرمة النبي في قومـه .

وانطلاقا من حق الأستاذ على تلميذه في وجوب الوفاء له وذكر محامده والدعاء له في السر والعلن .. فإنني لا أجد بداً من أن أعرض عليكم بهذه

المناسبة الغراء بعض الومضات من مناقبه استخلصتها من خلال معايشتي له على قصرها

.. ولرب سائل يسألني عن علاقتي بالشيخ، متى، وكيف عرفته، فأقول إن معرفتي به تعود إلى عهد الخمسينيات أي إلى عهد الطفولة وأنا أقيم عند أخوالي بقرية «بوعزيز» قبل اندلاع الثورة التحريرية، بل على عتباتها، عندما كنت مع بعض الأقران نتسابق دائما لرؤيته وهو في طريقه عند غدوه أو رواحه من زاويته والى جامع الجمعة(سيدي أحمد المجذوب) حيث كان يؤم الناس فيه وكنا دائمي الحرص على سماع خطبه ونتابعها باهتمام، فكان يبدو لنا بشوشا متواضعا مجللا بالوقار، تعلو محياه ملامح العزة الإسلامية وسمات النبل و الشرف الأثيل مما يشبع فضولنا و يغمرنا بالسرور و الإنشراح، وبعد الاستقلال ونيف، وجدت نفسي مع مجموعة من الأتراب نلتحق بزاويته العامرة، على خطى من سبقنا من كتائب طلبته الأوائل، وعندها اقتربت منه أكثر، وكل يوم يمر أجلس إليه فيه، أكتشف أنني أمام بحر زاخر لا ساحل له، وأجد نفسي أمام رجل عظيم، قد أفاض الله عليه معارف فائقة، وفتح له كنوزا من الأسرار الروحانية الربانية، فأجلس إليه أختلس الإعجاب منقاداً لما ألزم به نفسه مظهراً وسلوكاً، وعاهد به ضميره، فأجيل نظري لما حباه الله به من كرم نفس وعلو همة، فكان يعالجنا بتواضع العالم العليم بمناهج الشعور بالمسؤولية التربوية والروحانية تجاه طلبته ومريديه، وكنت أجد في تلك النفس الخيرة الطيبة ما يوائم فضولي وهوى نفسي في اكتشاف شخصيته التي تفيض كلها بمباهج الخصال الإنسانية، وروائع العلم وفنون التاريخ، وأسرار التصوف ..

ولم يستمر بي المقام في رحاب الشيخ بالزاوية إلا مدة ليست بالطويلة في عمر الزمن، ولكنها بحمد الله على قصرها، كانت مؤثرة مثمرة، وقد وعيت عنه ما شاء الله أن أعي، وقبست ما شاء الله لي من القبسات وفضول البركات منه ومن مشايخي مصابيح الهدي من أعلام زمورة قدس الله أرواحهم جميعا وطيب ثراهم.

أيها السادة .. إن تلكم الشخصية الفذة التي نحيي ذكراها اليوم، بقدر ما كان صاحبها جليلا مهيبا مع جلسائه يروعهم شموخه ويأخذ بمجامع قلوبهم رسوخه وسعة إلمامه، بقدر ما سرعان ما يتسلموا فيه من الأخلاق الدمثة السامية، ويستشفوا منه رقة الجانب، وخصوبة الجناب، مما وهبه الله من علم وافر بالكتاب والسنة، ودراية واسعة بعلوم اللغة العربية وآدابها وفنونها، وإحاطة بالمنقول، ورأي حصيف بالمعقول قلما يجانب الصواب.

وكان يتميز باحترامه للأئمة الأعلام و العلماء، ويجلهم جميعا، ويعترف لهم بالفضل ويعتمد أقوالهم حتى أنه يتخذ أقوالهم حجة فيما لم يتبين له فيه دليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع .

كما يتميز أيضاً بالحرية في آرائه وفتاواه، فهو يصدر عن قناعة لما يراه الحق والصواب، مع احترام آراء الأئمة والأعلام و العلماء، وأقوالهم، وما حرروه وقرروه من غير أن ينتقص من قدر أحد منهم أو يجرحه، وقد كان يلتمس لمن خالفه في رأيه الخاص الأعذار والمبررات .. فاكتسب بحق مكانة مرموقة في صف العلماء المخلصين ينشر علمه بسخاء للإفادة وينفق مما عنده لينتفع به من كان أهلا للانتفاع والاستفادة، لا يريد منه جزاءً ولا شكوراً،

وما في نيته تحقيق صيت، أو منصب، أو سقط متاع، كما تشهد له جحافل المتخرجين على يده، و عامة الناس ممن عرفوه، وكان قصده على الله، ثم أن يعرف علمه ويبلغه موفيا بذلك بعهد الله تبارك وتعالى الذي عهده إلى العلماء، شاكراً جليل نعمائه، وتتجسد روح الإخلاص هذه في إرادته المستميتة التي تلازمه، وفي منهجية تعليمه وحرصه الشديد على منفعة طلبته..

وموازاة مع روح الجدية والوقار التي تكتنفه، فإنه كان يتميز بروحه الخفيفة وحبه للنكتة اللطيفة الظريفة، لأن الإسلام دين فسحة وسماحة، دين بسط وانفتاح يأبى التزمت والانقباض، فكان شيخنا المنعم رحمة لجلسائه، ومصدر سرور لهم كما – (يحصل السرور) - له بهم بواسطة النكتة الظريفة التي يقتنصها وينتشي لها أيما انتشاء، ولا يظن بها تزمتا وتكلفا للوقار، وكثيرا ما يطلق العنان لضحكة وقورة يفهم من جرس نبراتها المعاني السامية كل فطن لبيب، ورب نكتة يتخذها وسيلة للتنبيه إلى خطإ أو إرشاد إلى صواب، فهو لا يرى الاحترام والتقدير في السكوت والوجوم في المجلس، كما يرى أنّ تقدير الجليس لجليسه يكون باحترام مشاعره وأحاسيسه فلا يستأثر بشيء دونه ولو كان غاية في التواضع.

وترجع خفة روح شيخنا وتذوقه للنكتة إلى ثقافته الواسعة وذوقه الرفيع في الأدب العربي، فهو إلى جانب كونه فقيها، فهو أديب أيضاً يتذوق الأدب الجميل، فيجيد كتابة النثر بأسلوب رفيع، كما يجيد قرض الشعر المشهود له فيه بالجزالة والطلاوة ، وبالقدح المعلى.

فكان حريصا على نفع الناس وقضاء حوائجهم ليلا ونهاراً، حضراً وسفراً، في أيام صحته وعنفوانه أو في أوقات ضعفه وسقمه، حريصا على التقيد

بالمواعيد، لا يتخلى عن اللقاءات العلمية والوعظية النافعة التي كان يلزم بها نفسه سواء بزاويتــه أو بمسجده العتيق، أو في أي مكان آخر يرى تدخله فيه ضروريا أو جديرا، أو طالما تعلق بمنفعة الناس، كأمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو إسداء نصح، أو عقد صلح، في القرية أو في الحي، وحتى في السوق في بعض الأحيان، عندما يتسوق للتبضع واقتناء مستلزمات بيته، فكان لا يجد حرجا من عدم ملاءمة المكان أو المقام، ما دام يعتقد أن تدخله يفيد، ولا تستهويه الحكمة المأثورة القديمة القائلة « في بيته يؤتى الحكم» التي تنزه العلماء وأصحاب الرأي والحكمة عن الاختلاط بعموم الناس .. فكان مباركا أينما توجه وحيثما نزل كالغيث من السماء أينما حل نفع .

أيها السادة .. إسمحولي إن أنا أطنبت، بل أسهبت لأنني لم أستوف ما أريد، و لأن ما قلته هنا عن سماحة شيخنا شيء يسير، لا يكاد يداني غيضا من فيض، أو يقارب حسوة من بحر، أو غرفة من محيط من أفضال الشيخ نعمه الله بشآبيب الرحمة والغفران على من توفر له حظ الاتصال به من طلبته ومريديه، ولما قدمه من أياد بيضاء للإسلام وللعلم، وللغة العربية خاصة، وللجزائر عموما .. فسلام عليه بما قدم وآثر.. وسلام عليه في الخالدين .

والسلام عليكم

أ. عبد المجيد بن داود

الذكرى 18 لوفاة العلامة الشيخ
عمر أبو حفص الزموري



حياة الوالد الشيخ أبي حفص الزموري

دلالات رحلة ومعالم مسار

أ / عبد الرحمن أبو حفص – نجل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على رسولك الأعظم ونبيك الأكرم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مقدمة:

لا شك أن الحديث عن أب ذي مكانة من طرف ابن له من شأنه أن يضع هذا الأخير في موقف حرج، فهو إن خلع عليه لقبا يستحقه أو صفة استوجبها خاف أن يظن ظان أن ذلك من تمام بر الأبناء بالآباء وأتهم في موضوعيته وحياده، وربما دفعته مخافة هذا الأمر إلى تجنب ذلك فجاء ما يقوله أو يكتبه صورة بالأبيض والأسود وغمط الأب حقه من طرف الابن ولعمري أن ذلك لا ينبغي أن يكون وقبيح بنا وأن قدم العهد هوان الآباء والأجداد.

هذا ما وجدت نفسي أمامه وأنا أتهيأ لتحرير هذه السطور ولم أجد ما ابعد به هذا الإحساس إلا كشف الستار عنه أمام حضراتكم أولا ومصارحتكم ثانيا بأن ما ألقيه على مسامعكم ما هو إلا غيض من فيض مما كتبه عن والدي رحمه الله طلبته ومريدوه عبر الصحافة الوطنية بمختلف وسائطها على مدى سبعة عشر سنة تفصلنا عن تلك الأيام الصعبة التي غادرنا فيها إلى رحمة الله .

سأسرد عليكم في هذه المداخلة مسار حياته مختصرا محاولا تأمل بعض مواقفه التي كنت فيها شاهد عيان أما إنتاجه فيتولى الحديث عن بعضه في هذا اليوم أخوة أفاضل من الأساتذة والدكاترة الممتلكين لزمام التخصص والذين أتقدم إليهم بالشكر الجزيل على مساهماتهم القيمة في هذه الذكرى.

الاسم واللقب للفاروق والمواقف قبس منه أيضا رضي الله عنه فأما اللقب (أبو حفص) فهو للعائلة وأما الاسم فإن التي قررت وأصرت على أن تسميه به فهي أمه وهي امرأة أمية لا تقرأ ولا تكتب ومنبع إصرارها كما تبين لي بعد البحث أنها رحمها الله وطيب ثراها كانت ترجو من وراء ذلك ألا يخطفه الموت منها كما فعل بمن سبقه من الذكور، ولم تكن تدري أنها في الحقيقة ما سمت إذ سمت ولكن الله سمى وإن الاسم (عمر) سيأتي أكله طيبا متمثلا في الصفات والمواقف التي يجزم كل من عايشها أنها قبس من الفاروق رضي الله عنه.

ويجدر قبل مواصلة سرد مسار حياته التوقف قليلا لمحاولة إلقاء الضوء على شخصيتي والديه لأن هذا من شأنه أن يسهم في توضيح ميزاته الشخصية وليس بين يدي مع الأسف في ذلك إلا النزر القليل خاصة والده لكونه غادر الحياة والابن لم يتجاوز السابعة، ولكن موقفا قبل الوفاة حدث يمكن أن يزيح بعض الضباب عن شخصيته يروي تفاصيله والدي قائلا كنت يوما في الرابعة أو الخامسة عندما حدث أن أمي غضبت مني وعنفتني فتأثرت لذلك أشد التأثر وأعمقه لأنه لا عهد لي بذلك فذهبت باكيا الى المسجد حيث والدي هناك يؤدي مهمته في تحفيظ كتاب الله تعالى فما أن رآني بتلك الحال حتى هش في وجهي وأجلسني أمامه ولاطفني حتى ذهب ما بي فأحسست بالراحة

وغلبني النوم فغطاني بمنديل ليمنع عني ما قد يقلق منامي ولما فتحت عيني وجدت أمامي كوما من التمر أحضر بمناسبة ختم أحد الصبيان جزءا من كتاب الله تعالى فقال والدي أن هذا كله لك فعدت الى البيت بمعنويات غير تلك التي ذهبت بها الى المسجد ومما زاد في سروري أنني بمجرد دخولي الى البيت شرعت أمي في ملاطفتي فقضى ذلك تماما على ما كان بي من تلك الحادثة التي لا سلف لها ولكنها ناطقة بملامح شخصيتي كل من والده ووالدته، ففي الغالب أن التعنيف والشدة يقعان من الآباء وأن الأبناء يشتكون الآباء الى الأمهات لا العكس، وهذا هو الذي يدل على أن والده رحمه الله كما يبدو كان هادئ الطبع واسع البال حليما يعالج الأمور بتؤدة وصبر، نجد هذه الصفات لديه فيما بعد كما نجد صفات شخصية والدته سليلة سيدي الجودي التي كانت تتصف بالحزم والصرامة تجلى ذلك حتى في تصرفاتها مع نفسها، فقد روى والدي أنها كانت شديدة الالتزام بفروض الدين وواجباته ومما يدل على ذلك أنها كانت إذا حدث أنها أجهدت في أعمال النهار وغلبها النوم فلم تستيقظ لأداء صلاة الصبح في وقتها فإن ذلك – يقول والدي – من شأنه أن يجعلها تقضي اليوم كله من أوله إلى آخره باكية وتعزف نفسها عن الطعام ولا يستطيع أحد أن يكلمها ! كما يروي عنها غير واحد أن جارتها وقريباتها كن يهبنها ويتجنبن إغضابها خوفا من دعائها الذي كان كما يروين مستجابا، لقد كانت انعكاسات صفات كل والده ووالدته رحمهما الله ورحمه الله .

واضحة بينة ، ومن المؤكد أن الصفات العمرية التي سبقت الإشارة إلى اتصاف شخصيته بها تعود أكثر إلى الأم ويعود الحلم والأناة ويسر المعشر في أكثر إلى الأب.

مولده ونشأته: اليوم والشهر غير معروفين أما السنة فمن المؤكد أنها 1334 هـ 1913 م وقد سجل ميلاده من الناحية الرسمية في بلدية برج زمورة مسقط رأس أبائه وأجداده ولكن من الناحية الواقعية كان في بلدة شلغوم العيد التابعة حاليا لولاية ميلة وذلك أن والده على غرار جل أفراد الأسرة الذين أكرمهم المولى جل وعلا بأشرف مهنة وهي تعليم القرآن الكريم و كان إذ ذاك مقيما بشلغوم العيد التي شهدت ميلاده كما شهدت تنشئته الأولى حيث لم يعد الى موطن أجداده بلدة زمورة بصفة نهائية إلا بعد بلوغه العاشرة حيث كان قد مر على وفاة والده نحو ثلاث سنوات.

وإثر وفاة والده رحمه الله تولى كفالته أخوه السيد محمد أبو حفص وابن عم والده السيد علي أبو حفص وكان كلاهما قائما بتحفيظ كتاب الله تعالى لكن أغلب الكفالة المادية كان لأخيه وأغلب الكفالة التعليمية لابن عم والده وعلى يد هذا الأخير أتم حفظ كتاب الله تعالى ولم يبلغ الحلم وإثر ذلك جاء إليه أحد الأقربين وفاتحه قائلا ها أنت قد أتممت حفظ كتاب الله وصار الآن بإمكانك أن تستقر في مسجد تحفظ الصبيان وتؤم المصلين على غرار باقي أفراد الأسرة التي ذكرنا من قبل إن هذه كانت مهنتهم لكن رده كان محيرا بل مغضبا لصاحب الاقتراح فقد قال له « كيف أؤم الناس وأنا لا أحسن الوضوء» فرد صاحب الإقتراح قائلا إذن عليك من اليوم أن تتدبر أمر معيشتك فانطلق أثرها ليبحث –ليس عن العمل – ولكن – كما يقول هو – عن أعلم الناس في الناحية فدل عليه وهو العلامة الشيخ أحمد بن قدور رحمه الله المتوفى سنة 1936 والذي كان نادرة في الحفظ والفهم وتجاوز صيته الناحية إلى قسنطينة وتناهى إلى سمع الإمام عبد الحميد بن باديس فارتحل إلى زمورة قاصدا زيارته والتعرف عليه ولما كلمه واستيقن من سعة علمه وسداد رأيه طلب منه مغادرة

البلدة ومرافقته إلى قسنطينة ليكون زميلا له لكن الشيخ سيدي أحمد أجابه قائلا: « لمن أترك هذه الأمة إن أتيت معكم».

وهكذا اتصل به رحمهما الله وطلب الإنتساب الى الحلقة التي كانت تتألف من إثنين أو ثلاثة يفوقونه سنا وسابقة في التمدرس فطلب منه الشيخ التعهد بالوفاء بشرط واحد قال الوالد ما هو قال الشيخ عدم الإنقطاع الى غاية التخرج ولم يجد أي عناء في الموافقة على هذا الشرط لأن هذا عين ما كان يبتغيه وتم له الجلوس بين يدي الشيخ مدة لا تزيد عن سنتين أو سنتين ونصف السنة أظهر خلالهما تفوقا وتميزا ظاهرين مما جعل الزميلين السابقين عليه كما ذكر من قبل في التمدرس والسن يشعران بالحرج ثم يصبح هذا الحرج ضيقا وتبرما ثم جفوة لم تزله الأيام إلا بعد فترة ليست بالقصيرة وما صعد في هذا الجفاء والتبرم أن الشيخ أحمد بن قدور رحمه الله في نهاية الدورة العلمية سلم لهذا الطالب المتفوق إجازة كتابية ضمنها الشهادة له بأنه أهل لأن يجلس للتدريس داعيا له المولى بإلحاح أن يوفقه في ذلك رافضا رفضا قطعيا أن يمنح زميليه ما منحه له رغم ما سبق من تقدمهما في السن والجلوس بين يديه ورغم ما لأحدهما من صلة قرابة جد ضيقة بالشيخ ولقد تكرر طلبهما وإلحاحهما وتوسطهما بأواصر القربى والصداقة فلم يفلح ذلك في ثني الشيخ أو تبديل موقفه ويبدو أن الأمر أزداد تصعيدا عندما جلس الطالب في مسجد شيخه يتولى التدريس في حياته فلم يتمالك الأمر من الزميلين أو من غيرهما فاتصل متصل بالشيخ لائما له قائلا كيف تسمح لهذا الطالب الصغير أن يدرس في حضرتك فما كان منه رحمه الله ورضي عنه وكان نافذ البصيرة إلا أن أجاب اللائم قائلا أتدري لو كان لي وقت لذهبت أتعلم عليه، ويعلق الوالد على هذا الموقف الكريم من شيخه قائلا وهذا منه رضي الله تعلى عنه تواضع عظيم وعلامة كبيرة على رضاه !

وأسجل هنا أنني طيلة معايشتي لأبي لم أحس أنه يحب شخصا كما أحب شيخه إلى حد أنه إذا ذكر أمامه اسمه اعترته حالة من السرور والطرب والشيخ أحمد بن قدور عندما سلم للوالد الإجازة والترخيص بالجلوس في مسجده للتدريس كان ذلك عن نظرة ثاقبة وعمق تقدير لأنه رأى من هذا الطالب في مساره الدراسي ما لم يره من غيره إذ لم يمر ما لا يزيد عن شهر على انتسابه إلى الحلقة حتى أصبح يناقش ويجيب عن الأسئلة التي يعجز زميلاه عن الإجابة عنها ولقد حكي لي رحمه الله أمرا حدث له يوما بعد انتسابه بحوالي شهر وذلك في درس مادة العروض التي كان زميلاه عند انتسابه الى الحلقة قد تلقيا عن الشيخ نصف مقررها رسميا أو نظريا وطرح الشيخ سؤالا قصد به الزميلين لأن الإجابة عنه تحتاج الى الإلمام بالدروس الأولى التي لم يكن الوالد منتسبا للحلقة عند إنجازها ولكنه رحمه الله فاجأ شيخه وزميليه بطلب الكلمة ليجيب والزميلان يعالجان العجز وهما يكتويان بنظرة الشيخ المؤنبة لهما على التقصير ولما تأكد من عجزهما فسح المجال للوالد فأجاب إجابة وافية اندهش لها الشيخ وقال له من أين لك هذا فأجاب إني لما رأيت أن انتسابي متأخرا عنكم وقد فاتني العديد من الدروس عملت على تدارك ذلك فأمسكت بالكتاب المقرر وشرعت في معالجة مواضيعه سائرا على نهجهم في التحليل وقد لحقت بحمد الله بكم فأعجب الشيخ أيما إعجاب بالطالب ودعا له ومما أكبره في عينه أيضا أن هذا الطالب عند انتهاء الحصص الدراسية وخروج زميليه وتفرغ الشيخ لاستقبال المستفتين والمخاصمين إلخ كان يخرج من القاعة لا لينهمك في اللعب أو يلتحق ببيته ولكن يتخذ في الخارج مكانا قريبا من القاعة يمكنه من سماع ما يقوله الشيخ للمستفتين والمتخاصمين وغيرهم ممن كانت قاعة الشيخ تغص بهم على مدى اليوم كله وكانت حافظته غير العادية وذهنه المتوقد

يعيان ذلك فورا ولا يغادر مكانه هذا إلا بعد خروج الشيخ وغلق القاعة ويبدو أن هذا الأمر قد زاد من غيظ الغائظين وتبرم المتبرمين بجد الوالد واجتهاده في اكتساب العلم وإشباع نهمه إلى المعرفة فكلم الشيخ في ذلك طالبا منه أن يأمر الفتى بمغادرة ذلك المكان الذي يقبع فيه فأجاب من كلمه أن هذا الطالب بمكوثه بهذا المكان صامتا ساكنا كأنه في محراب يسمع ما ينفعه وينفع الناس من العلم لا يمكن أبدا أن أطلب منه ذلك، يتضح من هذا مكانة هذا الطالب لدى شيخه ومكانة الشيخ لدى مريده هذه المكانة التي تتضح جلية فيما أصاب الوالد عند سماعه بخبر وفاة شيخه وكان إذ ذاك قد أتم تكوينه وألتحق بزاوية الشيخ الحاج الحسن الطرابلسي مدرسا ومحررا لمقال أسبوعي لمجلة البلاغ ودعاه تأثره بفقد شيخه الى رثائه بقصيدة نشرها في جريدة النجاح بعنوان ثالثة الأثافي تفيض أسى ولوعة على شيخه والتي من بين ما جاء فيها ما يلي:

تذكر أحمد في السوق ومشهده
إذ الوفود تجيء إليه يهديها
تراه في هيبة كالليث بينهم
والبدر في كشفه السبل لماشيها
إذا رأته جماعة وقد سرعت
نار الفتان و لا أحد يطفيها
نطق قائلهم ها هو جاءكم
أحمد يحكم بينكم ويفريها

ولم يستطع البقاء في زاوية عنابة، فعاد إلى زمورة مدفوعا بالحنين إلى الأماكن التي كانت مسرحا للنشاط اليومي لشيخه ومكث مدة في مسجده مدرسا

وإماما خطيبا إلى جانب تكفله بالتدريس مجانا في داره التي حولها إلى زاوية أنجز فيها في هذه المدة القصيرة لمجموعة من الطلبة مقررا في مختلف العلوم أقيم بمناسبة اختتامه حفل بهيج أوفدت مجلة البلاغ مراسلا خاصة لتغطيته ومما جاء في مقدمة مراسلته:

« أقيمت في المدة الأخيرة حفلة بزمورة لختم دروس كان يلقيها العلامة الأستاذ سيدي عمر أبو حفص حضرها جمع من الفضلاء الأجلاء وقام خلال تلك الجلسة أذكياء من التلامذة القوا على الحاضرين خطبا كانت لها رنة في الأسماع وأنا أذكر خطب بعضهم وإن كان الكل يستحق الذكر....»

وكان من بين الطلبة المتخرجين في هذه الدفعة الشيخ عبد الله شرع الله ثم استأنف التنقل الى مراكز النشاط وذلك لتحقيق هدفين هما نشر العلم بين الناس وملاقاة الرجال – أي العلماء – وكان له في هذه الفترة مرور وإقامات قصيرة بكل من زاوية جعافرة وقرية بوحمزة قرب بجاية وقرية توريرين ببني عيدل وخلال هذه الإقامات القصيرة درس عليه طلبة على رأسهم الشيخ مولود أوجلواح الذي كان إماما فقيها متخرجا من زاوية الشيخ الحسن الطرابلسي وكان بحاجة الى دورة تكوينية في علم العروض فدرّسه عليها .

وبعد هذه الإقامة القصيرة في الزوايا المذكورة توجه إلى زاوية شلاّطة الواقعة بمشارف أقبو ولاية بجاية وقد كانت ذات شهرة واسعة حل بها سنة 1938 طبقا لرواية العلامة الشيخ الطاهر آيت علجت الذي يذكران الوالد زارهم مرتين وقد طلبوا منه في الثانية أن ينصحهم يقول الشيخ آيت علجت فألقى دروسا سررنا بها وانتفع بها الجميع، وفي زاوية شلاّطة أنجز مؤلفه «دليل الحاج» ومن زاوية شلاّطة انتقل الى زاوية سيدي موسى تنبذار للتدريس بها

وذلك في حدود سنة 1942 وأقام بها زهاء عامين قبل أن يرتحل إلى مسقط رأسه شلغوم العيد التي أقام بها مدة قصيرة.

في وادي الزناتي:

في سنة 1944 إنتقل الى وادي الزناتي – ولاية قالمة وكانت تعج بالنشاط العلمي والسياسي وبها العديد من العائلات الكريمة مثل عائلات مهري وبو بنيدر وغيرها وتم الإتفاق بين أعيان الناحية وبين الوالد على إعداد الطلبة المترشحين للالتحاق بجامع الزيتونة والوصول بهم إلى المستوى العلمي الذي يؤهلهم ليكونوا جديرين بالتوجه إلى الزيتونة ولهذا كله قصة لعل أخي سي بلقاسم آيت حمو يتكرم بإعطاء تفاصيلها فيما بعد، وقد أقام الوالد بوادي الزناتي حوالي ثلاث سنوات تتلمذ وتخرج على يديه في نهايتها العديد من أبطال الثورة من أمثال الشهيد حسن الشطايبي الذي يحمل حي بعنابة إسمه والمرحومين صالح بوبنيدر والسعيد عبيد وكذا الأستاذ عبد الحميد مهري حفظه الله، وفي سنة 1947 إنتقل الى عين الفكرون إماما خطيبا إلى غاية منتصف سنة 1949 حيث عاد الى بلدته زمورة ليمكث بها أربعة عشر عاما إتخذ خلالها من بيته زاوية تستقبل الطلبة الراغبين في التعلم وليس إمام طالب الانتساب إليها إلا التعهد بالوفاء بما اشترطه عليه شيخه ذات يوم ووفى به إلا وهو عدم الانقطاع قبل التخرج وفي هذه الفترة تتلمذ على يديه أفواج من الطلبة الذين كانت شهرة في العلم و التدريس كما كان إلى جانب التدريس يتعاطى الإفتاء وفك النزاعات وتحرير الفرائض كما شهدت هذه الفترة تأليف كتابه الشهير الموسوم بـ « فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف»، وهو كتاب نفيس في فن التصريف نفذت منه الطبعتان الأولى والثانية، وصدرت الطبعة الثالثة منذ فترة وجيزة.

وفي حوالي سنة 1964 التحق بمسجد براقي إماما خطيبا لفترة وجيزة ثم نقل الى مسجد سيدي رمضان رضي الله عنه بأعالي القصبة حيث مكث فيه إماما خطيبا مكرسا وقته كله للتعليم والتربية والإرشاد إلى أن وافته المنية في الخامس من شوال 1411 هـ الموافق العاشر من شهر ماي 1990 م.

أحداث ومواقف ودلالات:

ولإلقاء المزيد من الأضواء على شخصيته يجدر ذكر بعض المواقف التي تنبئ بتوفيق المولى جل وعلا له منذ الصغر منها ما رواه لي من أن بلدته زمورة شهدت ذات يوم وهو في نحو السادسة أو السابعة من عمره زيارة الولي الصالح الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي رضي الله عنه الذي حل ضيفا على أحد أعيان البلدة وتسامع الناس بزيارته فقصدوه وكان أن اصطفوا أمام البيت الذي حل فيه ينتظر كل منهم دوره للسلام على الشيخ وطلب النصيحة والإرشاد والعهد على السير في الطريق المستقيم لكن اللافت في الأمر أن طفلا في نحو السادسة من عمره لم يجذبه ما كان فيه أترابه من عبث ولهو ولكنه أخذ مكانا له في صف الرجال منتظرا أن يحظى برؤية الشيخ العلاوي ثم بادره قائلا « جئت لتعطيني الميثاق – والميثاق عهد بين الشيخ والمريد يتضمن برنامجا للأذكار والأدعية يلتزم المريد بأدائها يوميا طلبا للرقي الروحي والقرب من المولى جل وعلا – ويبدو أن الشيخ رحمه الله ورضي عنه لفت نظره صغر سن السائل فابتسم في وجهه مسرورا وسأله هل تصلي فأجاب بالنفي فقال له « إذن نعطيك ميثاق الصلاة» يقول والدي فشرعت منذ تلك اللحظة في أدائها ولم أتركها يوما.

وحادثة أخرى تؤكد ما سبق ذكره من توفيق الله له يرويها هو أيضا وكان بطلها شخص آخر حدثت له هي الأخرى في تلك السن حيث تخاصم يوما مع أحد أقرانه فتلفظ هذا الأخير بكلمات فيها سب للدين فما كان منه إلا أن ترك الخصومة جانبا وانطلق باحثا عن والد الطفل ولما وجده لم يشتك له خصومة ابنه ولكنه قال له إن ابنك سب الدين فطلب الرجل من الوالد رحمه الله أي يعيد على مسمعه مقالة ابنه يقول أبي فلم أستطع أن أحرك لساني بذلك فكرر الرجل طلبه مرتين أو ثلاثا فلم أستطع فبكيت إذ كيف أعيد على مسمع الرجل كلاما جئت أشتكي له من جريانه على لسان ابنه فعدت أدراجي وصرفت النظر عن الموضوع.

وعودة إلى موقفه يوم جاءه من يقترح عليه الانخراط في العمل محفظا لكتاب الله تعالى لكسب قوته وبث في ذلك الأمر دون تردد مفضلا طريق العلم غير عابئ بما كان يلقاه في معيشته اليومية من العسر وضيق ذات اليد وهذا لا يتأتى إلا بتوفيق من الله لأن المألوف أم من كان في مثل حاله من شظف العيش والضيق المادي أن يبادر إلى اقتناص أية فرصة تعرض عليه بل المألوف أكثر أن يكون هو الباحث المطارد لتلك الفرص، أما أن تتاح له الفرصة ويعرض عنها فذلك لا يكون إلا بقدر مقدور من الله.

أما عن شجاعته ورباطة جأشه فالمواقف كثيرة في حياته ولكني اختصارا أسرد عليكم بعض التفاصيل عن موقفين لا يزالان راسخين في ذاكرتي ولا أظن أني وأنا على قيد الحياة أنساهما حيث في يوم من أيام الثورة المظفرة وأما المسرح فكان الزاوية والباحة المحاذية لها حين أزفت صلاة ظهر ذلك اليوم، فقد خرج في ذلك اليوم القائظ كعادته قصد التحقق من الزوال الذي كان

قد اتخذ لمراقبة توقيته مزولة في الباحة وهي ساعة خاصة تخط في الأرض على سطح حجر أو على ورق مقوى تسهل معرفة أوقات الظهر والعصر خاصة ويوجد نموذج لها في حديقة البريد المركزي بالعاصمة وقد دربنا عندما كنا صغارا على كيفية صنعها وقراءتها – وبينما هو في باحة الزاوية إذ حاط به عساكر الاستعمار الذين كانوا يلاحقون مجموعة من الفدائيين كان أفرادها منسحبين عائدين إلى مكمنهم إثر تنفيذ عملية عسكرية ولظنهم أن الوالد منهم قاموا بالتحلق حوله مصوبين فوهات رشاشاتهم إلى صدره وإلى ظهره ثم شرع قائدهم في استفزازه أمرا له قائلا: هات بطاقة تعريفك في الوقت الذي كان بعض الجنود يحاول غرز مقدمة رشاشه في صدره دافعا إياه نحو الوراء لتتلقاه رشاشات المجموعة المصطفة وراءه، كان المشهد بتقاسيمه السريالية تحت سمع وبصر الطفل الذي هو أنا كما كان تحت سمع وبصر سكان الجوار الذين يرقبون خلسة من فتحات نوافذ بيوتهم تتدافع في مخيلة كل منهم صور نهاية أو على أي جنب سيسقط الشيخ حتى أن بعضهم أغمي عليه والبعض أعلن لأفراد عائلته قائلا رحم الله الشيخ عمر ولكن الوالد رحمه الله – ومازالت أمام نظري يده التي كان يدفع بظهرها نعم بظهر اليد فوهات الرشاشات وهو يقول ابعدوا بنادقكم ولقائدهم لا تلمسني أيها النجس ويكرر القائد أعطني بطاقة التعريف فيرد الوالد رحمه الله لن تراها، في هذه اللحظة كانت الأصابع التي على الزناد أقرب وألصق ما تكون إلى جسده ولكن يد العناية كانت أقرب فألقى المولى جل وعلا الرعب في أنفسهم ودب الخذلان في نفوسهم فأرسلوا واردهم إلى قائد أكبر يسألونه ما يفعلون فقال اتركوه وأمرهم بمغادرة المكان أما الوالد رحمه الله فقد دخل البيت ليقوم بتنظيف يده التي رد بها البنادق النجسة وكذا الأجزاء التي لمستها من ثيابه ثم توضأ وصلى الظهر وكأن شيئا لم يكن.

أما المشهد الثاني الذي لم ولا يمكن أن تنمحي صورته من ذاكرتي فقد كان صبيحة يوم تمت فيه عملية فدائية وكان العساكر قد وصلوا إلى مشــارف بيتنا الذي كان آخر بيت في القرية بالنسبة للخارج منها وأول بيت للداخل وراى العساكر أن المكان مناسب لإقامة حاجز عسكري على الطريق المحاذي بل الملاصق لجدار الزاوية بحيث أن المار والعساكر بإمكانهم رؤية الطلبة والشيخ أثناء الدرس، المدهش في هذا المشهد أن العساكر الفرنسيين كانوا يوقفون المارة ويرقبون وثائقهم التعريفية وبين الفينة والأخرى كان أحدهم يدخل رأسه من النافذة يلقي نظرة على الطلبة والشيخ الذي كان صوته يجلجل في القاعة منهمك في شرح الدرس ولكن أي درس أن عنوان درس ذلك اليوم كان الجهاد فرض عين ليس هذا فحسب ولكن كيف لا تندهش عندما تعلم أن بين الطلبة فدائي كان الاستعمار قد أفرج عنه تكتيكيا ليتمكن من معرفة من يتصل به من منخرطين في العمل الثوري بعد عجزه عن الحصول على معلومات عن ذلك أثناء استضافته في ـ لاصاص ـ لازلت بالرغم من مرور ما يقارب الخمسين سنة على الحادثة أتذكر مجلسه بين الطلبة ووجهه يتصبب عرقا كلما تكررت عبارات الوالد رحمه الله بأن « الجهاد فرض عين» وكان المشهد غاية في الإثارة والترقب صعد منه خوف الطلبة وذلك الفدائي بالخصوص من أن يكون أحد الحركى حاضرا فيترجم ما كان يقال في الدرس وتقع الكارثة وربما يتساءل سائل عن الحالة النفسية للوالد أثناء هذا المشهد؟ فأقول بأنه الشيخ رحمه الله تعالى لم يعر أي اهتمام لحظو الموقف إذ أتم درسه وانصرف الطلبة وكان شيئا لم يحدث ! ولا شك أن رباطة الجأش تعود الى الثقة بالله التي لم تتزعزع يوما قيد أنملة لكنه في مقابل هذه الصفات كان لطيف المعشر رحب الصدر يأنس به من يعاشره وبقدر ما كان متشددا مع نفسه كان متسامحا مع

غيره إلا في أمور الشريعة والدين، فلطالما سكت عن تجاوزات مست شخصه ولم يلق إليها بالا وسرعان ما ينسى الإساءة ويقابل المسيء إليه بالحلم والعفو والصفح الجميل وكان مع جديته ووقاره بشوشا طلق المحيا دائم التفاؤل، أما نظرته الى الدنيا فلم يكتر فيها غير كونها مزرعة للآخرة فلم يسع يوما على كثرة معارفه من الطلبة والمريدين وغيرهم إلى الحصول على منصب أو نفع مادي وقد قضى ربع قرن مدة سكنه بالعاصمة في بيت متواضع بحي القصبة في عمارة قديمة فضله لقربه من المسجد الذي كان هو بحق بيته الحقيقي إلا أن هـذا لا يعني أنه كان متواكلا أو عالة على غيره فأنا وإخوتي وكذا العديد من الطلبة المنتسبين للزاوية ما يزالون لاشك يذكرون كيف كان يمارس الى جانب التدريس والفتوى وفك النزاعات والإمامة والفلاحة ويخصص لبستانه وقتا يفلحه ويغرس فيه الحبوب والأشجار التي لا تزال شاهدة على ذلك كما لا نزال نذكر كيف كان يحرص على انتظار توقيت حصته من ماء السقي مدربا على اعتياد أعمال الفلاحة والتجارة، كما باشر قبل وفاته حفر بئر ماء في بستانه الذي ذكر آنفا لكنه توفى والمشروع قيد الإنجاز والبئر اليوم بحمد الله طبق ما أوصى به .

منهجه في التدريس:

و له في التعليم منهج يرتكز على تقسيم التلقي الى ثلاثة مستويات يمر عليها الطالب خص لكل وحدة مجموعة من المراجع المتون تراعي المستوى الذي يكون فيه الطالب وللتوضيح أكثر أذكر بعض تلك المراجع التي من بينها:

1 - المرشد المعين في الفقه.
2 - الرسالة لابن أبي زيد القيرواني.

3 - مختصر الشيخ خليل.

4 - الدرة البيضاء في علم الفرائض للشيخ عبد الرحمن الأخضري في علم الفرائض.

5 - الورقات للحطاب – أصول الفقه.

6 - جمع الجوامع للإمام السبكي أصول الفقه.

7 - الأجرومية في النحو لابن أجروم.

8 - قطر الندى لابن هاشم.

9 - شذور الذهب لابن هاشم.

10 - ألفية بن مالك .

11 - منظومة إعراب الجمل لمحمد بن عبد الله بن المجراب.

12 - لامية الأفعال لابن مالك في الصرف.

13 - منظومة البسط والتعريف للمكودي.

14 - الجوهر المكنون للشيخ عبد الرحمن الأخضري في البلاغة.

15 - منظومة الصبان في علم العروض.

16 - مقامات الهمذاني.

أثاره ومؤلفاته المطبوعة:

1 – فتح اللطيف على البسط والتعريف مرجع هام في علم التصريف صدرت منه الطبعة الثالثة منذ فترة وجيزة.

2 – المجموعة الأولى من رسائله – طبع ديوان المطبوعات الجامعية.

3 – المجموعة الثانية من رسائله - طبع ديوان المطبوعات الجامعية.

4 – المجموعة الثالثة من رسائله – طبع دار حوار كم.

5 – أبواب الجنان وفيض الرحمن في الصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان (صلى الله عليه وآله وسلم).– طبع دار الهدى.

6 – فضل الدعاء ومطلوبيته..– طبع دار الهدى.

7 – الحج على مذهب الإمام مالك - رضي اللّٰه عنه -طبع دار هومة.

مسـك الختـام:

المسك كان الختام والختام كان المسك المشهد كان في البيت المتواضع بأعالي حي القصبة والزمن كان بعد أداء صلاة العشاء والنوافل في آخر يوم من رمضان من سنة 1411هـ ووضعه كان جلسة على هيئة التشهد مادا يديه الى السماء بالدعاء بعد المعقبات وفي تلك اللحظة النورانية خاطبته الوالدة مستفهمة عن فراغه من الصلاة لتضع له بعض الطعام (كان من دأبه رحمه الله في شهر رمضان ألا يتناول عند آذان المغرب إلا ما يحقق سنة تعجيل الفطر ويؤجل طعامه على قلته الى ما بعد فراغه من أداء صلاة التراويح في المسجد أو في البيت أن غلبه العجز والمرض) لكنها لم تسمع جوابا فأعادت الكرة فكان الصمت سيد الموقف عند ذلك هرعت إليه فوجدته في جلسته وهياته تلك التي وصفت وقد دخل في غيبوبة فنقل لعلاجها بمستشفى آيت ايدير القريب ثم إلى قسم الإنعاش بمستشفى عين النعجة الذي مكث به إلى غاية يوم الخامس عشر من شوال 1411 هـ الموافق للعاشر من شهر ماي 1990 م يوم وفاته وقد تم دفنه ببلدته زمورة إلى جوار جده سيدي عمر العجيسي رضي الله تعالى عنهم جميعا .

شكر الله الكريم لكم إصغاءكم وصبركم وبارك الله فيكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أ / عبد الرحمن أبو حفص

شهادة رفيق ومحب

أ / عبد المجيد بلحملاوي

شيخ الزاوية الحملاوية بقسنطينة.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل اللهم و سلم وبارك على سيدنا محمد و على آله و صحبه وسلم تسليما كثيرطيبا مباركا وبعد فإنه لا شك أن في الجزائر علماء كثيرين، لذا نرجو من السادة الكرام الذين بيدهم القرار أن يجعلوا يوم العلم يوما لكل العلماء نحن، نعم نترحم على الشيخ عبد الحميد ابن باديس رحمه الله وقد أخذ نصيبه:

فيوم العلم لا يجب أن نخص به شخصا، واحدًا، فهو لكثير من العلماء المغمورين الجزائريين المعروفين في المشرق المغرب، و في بلدهم و نشكر المجلس الأعلى للغة العربية و على رأسه الأخ الكريم الأستاذ الدكتور محمد العربي ولد خليفة الذي كانت لي سابق معرفة به في بداية الستينيات بالمشرق العربي وبالتحديد بالقاهرة في مصر عندما كنا طلبة، كما نشكر الأستاذ الصديق بلقاسم آيت حمو على ما يبذله من مجهودات شخصية في هذا المجال كانت جديرة بأن تكون مجهودات دولة، نظرا لمكانة هذا العالم الجليل الذي هو سيدي عمر أبو حفص الزموري، الذي يجب أن يتبنى علمه و تراثه الدولة و ليس الأشخاص، حتى نتمكن من إعطائه ما يستحقه من العناية والتقدير لما قدمه للوطن.

كما أذكر بأن الشيخ عمر قد عرفته عن قرب، و قد ذكر السادة المحاضرون جوانب من حياته و علمه الظاهري أما أنا فقد عرفت الجانب الصوفي لدى الشيخ عمر، من خلال زياراته لبيتي و قضائنا ليالي مع بعضنا نتذاكر و نتناقش و نبحث في مختلف المسائل و عرفت منه أسرارا روحية خصني بالبوح بها لا يستوعبها ربما العقل المادي، أشياء روحانية و كرامات ملموسة من فمه، فهو رجل مفتوح عليه من أمثال الشيخ محي الدين بن العربي و أمثال الشيخ عبد القـــادر الجيلانـــــــي،و الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي هؤلاء المعروفين في مجال التصوف، و أشكر السادة الدكاترة المحاضرين الذين تناولوا جوانبا من علمه الظاهري من نحو وصرف وعلوم أخرى في قمة التأليف لكن أذكر شيئا ربما لا تستوعبه بعض العقول و هو عندما زار الزاوية الحملاوية سنة 1945 بمناسبة المولد النبوي الشريف و هو العيد الوحيد الذي تحييه الزاوية الحملاويـــة سنويا، و كان يصحبه الشيخ عمار بن أقموم مقدم الزاوية الرحمانية بزمورة و ذلك بقصد الحضور و المشاركة في الاحتفال الكبير الذي يقام هناك بحضور شخصيات وطنية وعربية من تونس و غيرها، تقدم فيه محاضرات في سيرة النبي صلى الله عليه و سلم كما تلقى الدروس و الخطب والمدائح الدينية كقصيدة البرزخية في مدح خير البرية بهذه المناسبة العظيمة، وعندما حل بالزاوية هاله أمر حضور الخلق الكثير الذي رآه محتشدا كبيرا و صغيرا.

حوالي تسعة آلاف شخص، وهاله أكثر ما كانت تقوم به هذه الجماهير من دعوات وتضرعات بمقام شيخ الزاوية سيدي علي بالحملاوي - رحمه الله - حقيقة هو ولي صالح مما جعل هذه الحشود تجتمع عند قبره بهذه الكثافة وبهذه النية يتوسلون به إلى النبي صلى الله عليه و سلم.

فقال لي بينما أنا في دهشة من كل ذلك فإذا بي أسمع صوت علي بالحملاوي يناديني من ضريحه وقال لي: يا بني – هذا عطاء الله تبارك و تعالى - و الشيخ علي ميت في رمسه، وقــد مر على وفاته قرن من الزمن وهو تلميذ الشيخ بلحداد، وقـد توفي من بعده، و أكد أنه سمعه يقظة و ليس في المنـــام، فنظـم قـصيدة جمعـها الآخ بلقـاســم آيـت حمـــو.

هذا من الجانب الروحاني للشيخ عمر أبو حفص، فهو رجـل مفتوح عليه، وقال لي كلمة خصني بهـا دون غيري، و هي مـن الكرامات التي خصه الله تبارك وتعالى بها، وهي رؤيتـه للصحابة رضوان الله عليهم و التحدث إليهم، وهي درجة قصوى من التصوف قد بلغها الشيخ، تقرأ عنها لدى أمثاله مـن المتصوفـة كأبي حامد الغزالي و الشيخ السهرواردي و أبو القاسم الجنيد، و الفتوحات المكية للشيـخ الأكبر محي الدين بن عربي، و هي حقائق غيبية نقرأها و نؤمن بها، قال تعالى: « لا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون » - هو الظاهر و الباطن - هو الأول و الآخر – تجليات ربانية متجلية في كل وجهه « فأينما تولوا فثم وجه الله » - و رحم الله شيخنا سيدي أبو حفص رحمة واسعة و السلام عليكم -

الشيخ / عبد المجيد بلحملاوي

انطباعات شاهد عيان

الشيخ الطاهر آيت علجت

يتجلى من الشهادة الموالية كيف كان الشيخ عمر أبو حفص الزموري رضي الله عنه يعمر كل أوقاته – في حله وترحاله، ومقامه وظعنه – بالذكر والمذاكرات والتعلم والتعليم .

كتب الشيخ الطاهر آيت عجلت بخط يده يقول :
الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

لقد عرفت الأستاذ الشيخ عمر أبو حفص رحمه الله أول ما عرفته عندما نزل عندنا بتمقرة في حدود ربيع سنة 1938 صحبة الداعية الشهير الشيخ مولود جلواح تلميذ الشيخ عمر أبو حفص – رحمهما الله – في طريقه إلى زاوية الشيخ بن على الشريف رضي الله عنه، بشلاطة، ولاية بجاية، ليتولى التدريس بها وكان الشيخ المولود هو الواسطة بين الشيخ عمر أبي حفص رضي الله عنه وأولاد بن علي الشريف لما بينه وبين الشيخ المولود من الصلة الروحية الوثيقة، فقضينا معا بتمقرة يوما وليلة في مذاكرة علمية ومسامرة أدبية، هناك عرفت في الشيخ عمر – وهو في ريعان شبابه – ذكاء وقادا، وذاكرة قوية، وحافظة واسعة، وشغفا شديدا في طلب المعارف ونشرها، وروحا صوفية عالية، وذوقا أدبيا رفيعا، جامعا بين العلم والعمل والتقوى والزهد والورع ومكارم الأخلاق، فكانت هذه العوامل – بالإضافة إلى صحبة

عالم نحرير هو الشيخ أحمد بن قدور، رحمه الله – من أسباب تحصيله لكل العلوم المتداولة آنذاك في المنطقة، بل كانت باعثا قويا في نبوغه في مختلف المعارف الشرعية اللغوية وحتى في الرياضيات إذ أنه استدرك على الإمام الأخضري في الدرة البيضاء مسائل في قسم الحساب، فنظم أبياتًا من بحر الرجز لإتمام ما نقص منها، وقد قرأها علي، وبكل أسف فاتني أن أقيدها .

وأثناء تدريسه بزاوية الشيخ ابن علي الشريف رضي الله عنهما زار المقبرة التي دفن فيها الشيخ وأفراد من عائلته فاستوحى من ذلك المشهد قصيدة رائعة استعاد فيها معارف الشيخ وآثاره العلمية وآثار زاويته في نشرها للمعارف الإسلامية بين الطلاب الوافدين على هذه الزاوية .

وفي حدود 1948 شرف زاوية سيدي يحي العيذالي رضي الله عنه بتمقرة، بزيارة صحبة ثلة من طلابه، فألقى بها على طلبة الزاوية وزوارها درسا قيما في تفسير الآية الكريمة: (**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد**) (الآية)، فجاء فيه باستنباطات عجيبة دلت على طول باعه في تفسير القرآن الكريم، بل نجد الشيخ عمر كلما خاض في مجال من مجالات المعرفة حسبت أنه متخصص فيه وحده دون غيره من المجالات .

ومن الذكريات التي أعتز بها ملاقاتي مع الشيخ عمر مصادفة في سوق الخميس بتانساوت في حدود خريف 1942، هذه السوق التي كانت مقصدا للمغرمين بعلوم الدين واللغة العربية لغرض المساجلات العلمية والاستفادة من فتاوي الشيوخ الواردين عليها، فصادف كذلك أن ورد إليها أستاذي العلامة الشيخ محمد وعلي الطيب والداعية الرباني الشيخ محمد أكلي أوقري، فعزم

علينا العارف با لله الشيخ بلقاسم الخير أن ننزل أربعتنا ومشائخ آخرين ضيوفا عنده، فبتنا في منزله ليلة كانت غرة في جبين الدهر قضيناها في ذكر ومذاكرة، وأتحف بها الشيخ عمر أبي الحفص رضي الله عنه الحاضرين بدرس من آدابه وغرر من معارفه.

فرحم الله الأستاذ عمر أبي حفص رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه، ورزقنا حب الصالحين، وحشرنا في زمرة العلماء العاملين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الشيخ الطاهر آيت علجت

مداخلة في المناسبة

أ.د / عثمان بدري

السلام عليكم ..

أعتقد أن مقام المحتفى به مقام مترامي و مغر، بمزيد من التشعب والحفر انطلاقا من دنيانا الواقعية أو تشوقا إلى الحياة الربانية التي ترددت كثيرا هنا لكن شخصيا، أظن أن الجانب الأهم بالنسبة لجهود هذا الرجل هو ما يتصل بخدمة اللغة العربية خدمة منهجية وعلمية، و السؤال الذي طرح هنا من المنصة و لا أظن أن الإجابة عليه قد تحققت، وهو لماذا اهتمام هذا الرجل بالصرف أو بالتصريف، و هناك طبعا فرق بين الصرف وبين مفهوم التصريف، ويعرف الأستاذ عبد الجليل، و كذلك الأستاذ الزميل قلاتي، أن هناك فرقًا بين اللغة كنظام و بين اللغة من حيث هي كلام، فاللغة كنظام مقامها النحو غالبا، و النحو معياري فيه شيء من التعرية، و فيه شيء من المنطق، بينما الصرف أو التصريف مثل العملة التي تتداول في حياة الناس يعني عمل إجرائي متداول في اللغة نفسها هذا من جهة، ومن جهة أخرى ارتباط التصريف أو هيمنة التصريف غالبا ما يرتبط ببعض البيئات التي لم يتحقق فيها مفهوم السليقة الأولى أو مفهوم الملكة الأولى اللغوية.

فالتصريف إذن هو الذي يستطيع أن يحقق الطموح نحو الملكة اللغوية أو نحو اكتساب السليقة، لهذا أرى أن أهمية هذا العمل، و احتفاء هذا الرجل بالتصريف يندرج في إطار أن اللغة باستعمالها، وبمستعمليها فالصرف

أداة، بينما لا معنى لها إلا عندما تربط بالذي يؤديها، أي بالمقامات المتعددة للتصريف، و أظن أن هذا الجانب من أحدث الجوانب البيداغوجية التي يؤكد عليها ما يعرف بالتداولية كاتجاه لساني حديث.

د / عثمان بدري

تقريظ بقلم الشيخ الطاهر بدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين..

أما بعد فأحمد الله تعالى حمدا يكافي نعمه حيث أتاح لي الفرصة لأعبر بإيجاز عما تكنه روحي إزاء نجم الهدى والدين، سيدي ومولاي الشيخ الهمام عمر أبي حفص الزموري، رضوان الله عليه وبارك في آثاره، ونسله وأتباعه ومحبيه آمين، ولولا فضله جلّ علاه وفضل الأستاذ الكريم سي آيت حمو جزاه الله عنا خيرا، لما تجرأت لقصر نظري حتى على الإشارة إلى إنجازات شيخنا و فيوضاته الربانية، فضلا عن الكتابة و التبليغ عنه بين يديك عزيزي القارئ، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، و لله در الإمام البوصيري رحمه الله ورضي عنه حين قال :

و لا تقل لي بماذا نلت جيدها فما يقال لفضل الله ذا بكم

عزيزي القارئ، إلى رسائله العطرة التي كتبها في فقه المريد و المراد على السواء، وفي الدعاء ومقوماته، يضيف إليك عزيزي القارئ، شيخنا الهمام ما أنتجته قريحته المنيرة حول ليلة القدر المباركة، ليلة أنزل الله القرآن فيها جملة واحدة إلى بيت العزة، ليلة يلتمسها أهل الأشواق في العشر الأواخر من رمضان كما جاء في الحديث النبوي الشريف، ليلة سلم وتدعو إلى الأمن و السلامة، ليلة هي خير من ألف شهر.

وإذا أمعنت النظر في رسائل شيخنا العطرة، و جدت ثمة منهجيته التربوية و روحية جديرة بداعية إلى الله بالله، و سمعت بآذان القلب السليم خطابا يوجهه

الإمام إلى المؤمن الذي وصفه المعصوم صلى الله عليه وسلم بالنخلة، الشجرة الطيبة، أصلها ثابت و فرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، كما وصفها الحق سبحانه مشبها بها كلمة التوحيد و الإخلاص، نعم،خطابا إلى اللبيب و الغريب و القريب و الحبيب، خطابا تهتز له النفوس الأبية، وتقشعر منه جلود الدين يخشون ربهم جلّ علاه يخاطبه ويقول له على لسان حاله إذا أردت الدنو من القدر و فيوضاته فتجند للتقوى بالامتثال لشرع الله، امتثال العبد الذليل الفاني في خدمة مولاه و الباقي بحبه إياه، وتحل بالخلق الكريم لتحبب به الحق تعالى إلى خلقه، فيدخل الناس بك في دين الله أفواجا، فما أسناها من عبودية وما أعظمه من فتح **!!!** .

يعلمنا الإمام من خلال رسائله حول الدعاء و أسراره، أن الرشد الذي ينشئه الإيمان و تنشئه الاستجابة لله، و الرشد، قال تعالى : **(و إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)** البقرة الآية 186، فالمنهج الإلهي الذي اختاره الله للبشر هو الوحيد الراشد القاصد، وما عداه جاهلية وسفه،لا يرضاه راشد ولا ينتهي إلى رشاد.

واستجابة الله للعباد مرجوة حين يستجيبون له هم ويرشدون، وعليهم أن يدعوه ولا يستعجلونه، فهو يقدر الاستجابة في وقتها بتقديره الحكيم.

و يعلمنا شيخنا سيدي عمر الزموري رحمه الله و رضي عنه، أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لمقاماتها التي لا تنحصر، هي من الله تعالى، ذكر نبيه الكريم بالثناء في الملأ الأعلى، وصلاة ملائكته دعاؤهم له عليه الصلاة والسلام عند الله سبحانه.

قال تعالى: (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) الأحزاب الآية 56 .

ويا لها من مرتبة سنية حيث تردد جنبات الوجود ثناء الله على نبيه الكريم، ويشرق به الكون كله وتتجاوب به أرجاؤه، ويثبت في كيان الوجود ذلك الأزلي القديم الأبدي الباقي، وما من نعمة ولا تكريم، وأين تذهب صلاة البشر وتسليمهم بعد صلاة الله العلي وتسليمه، وصلاة الملائكة في الملأ الأعلى وتسليمهم، إنما يشاء الله تشريف المؤمنين بأن يقرن صلاتهم إلى صلاته وتسليمهم إلى تسليمه، وأن يصلهم عن هذا الطريق بالأفق العلوي الكريم الأزلي القديم.

وعن خطرات إمامنا رضوان الله عليه، حول ليلة القدر يرى البصير من خلالها أن نور الله واحد شغل شاغل وما عداه ظلمات تتعدد وتختلف وما يخرج الناس من نور الله إلا ليعيشوا في ظلمة من الظلمات مجتمعة، وما يقذفهم من الظلام إلا نور الله يشرق في قلوبهم، ويغمر أرواحهم، ويهديهم إلى فطرتهم، وهي فطرة هذا الوجود، ورحمة الله بهم، وصلاة الملائكة ودعاؤهم لهم، هي التي تخرجهم من الظلمات إلى النور، حين تتفتح قلوبهم للإيمان، ويعرفون لليلة القدر قدرها، يعرفون قدرها عقيدة وسلوكا، وحالا لا مقالا لها يصبحون منكسرة قلوبهم لله، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فهؤلاء هم الذين يصلي عليهم سبحانه وتعالى هو وملائكته، ويذكرهم بالخير في الملأ الأعلى، فيتجاوب الوجود كله بذكرهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه البخاري يقول الله تعالى: « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في الملأ ذكرته في الملأ خير منه» .

وفي القرآن الكريم يقول عز وجل علاه مشيرا إلى هذه الحفاوة العظيمة بالذين يحبهم ويحبونه : **(هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما، تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما)** الأحزاب الآيتان 43 – 44.

فإن فضل الله لا يتخلى عنهم لا في الدنيا ولا في الآخرة، ورحمته لا تتركهم، ولهم في الآجلة الكرامة والحفاوة والأجر الكريم، سلام من كل خوف ومن كل تعب ومن كل كد .. سلام يبلغهم من الله تعالى تحمله إليهم الملائكة، وهم يدخلون عليهم من كل باب، يبلغونهم التحية العلوية إلى جانب ما أعد لهم من أجر كريم فيا له من تكريم **!!!** .

أرأيت عزيزي القارئ كيف يعرج بك الإمام الهمام رضوان الله عليه إلى فضاءات النفحات الربانية حيث الملائكة والروح، أرأيت كيف يجلسك على بساط الأنس وكيف يخاطبك من كيانك بجنانك، الأنس الذي تشعر به حين تنسلخ عن كل ما سوى الله وتتبرأ من كل التفاتة إلى سواه، وتعوذ به من كل التفاتة ليس فيها رضاه، نعم الأنس الذي يغمره فؤادك حين تصبح قناة تطعم الجائع، وتسقي الظمآن، وتكسو العاري، وتفك العاني، وتعود المريض، قناة عطاء وسخاء، قناة أمل ورجاء، قناة سرور وحبور، قناة دعوة ونور، يخرج الله بك عباده من الظلمات إلى النور إذن عرفت عزيزي فالزم **!.**

ومسيرة ألف ميل تبدأ بخطوة والله الموفق والمعين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين الكرام أجمعين.

أ / الطاهر بدوي

قصيدة الشيخ المشيرة إلى بعض أسرار الفاتحة

(نور القدس لحضرة الأنس)

رددن ذكر الحبيب علنا
إن ذكرناه نفوز بالمنى
واركبن فلك الحياة و اسبحن
في بحار النور يسطع ما هنا
وافتح القلب بحمد وثـنـا
تلمح البسط وتقريبا دنـا
وبذكر الله كن مواظبـا
تردع النفس وتطرد وسـنـا
ثم تبدو من جلال هيبـة
تذهل اللب وتنسي ما جنـى
وبلطف ريح أنس نشـرت
تملأ الأكوان طيبا وسنـا
نسيم ساعة مرت بنـا
في جمال القرب أنسا وهنـا
واذكر الرب الجليل واثبتن
تكس حلة الرقي و الغـنـى
واذكر الرحمن صبحا ومسا
تلف نعمة وفيضا عمنـا

بالرحيم الهج وكن معتصما
ينكشف سر لطيف بطنـــا
ملك الملك اذكرن بالأدب
تلف تصريفا مزيلا للعنـا
ولبحر الخدمة اركب سفنـــا
للنجاة من عواصف الفنـــا
والتزم حكم الإله يا فتـى
تقهر النفس و تعط الرسنا
لا تفرط إذ لها سم خفي
وبها الشيطان دوما قطنـــا
ولضعف عن دفاع ادخلن
بحر عجز وتذلل واسكنـــا
وتلطف في السؤال واركبن
سفن الرحمة تلف السكنـــا
وتحصن ببحار للطلب
راكبا لفلك منع وهنــــا
ذاك سر قد بدا فاظفر به
تنل العز وترفع علنـــا
وبنور القدس فضلا سميت
ولتزد لحضرة الأنس افطنـا
ختم هذا لأبي حفص عمـــر
آخر الصوم العظيم جمعنـا

زاده الله صفاء دائما

مع عباد أهل سر كمنـــا

أسبغ الله العطا الحق على

من لنور صادقا قد ركنـــا

صل يا رب على شمس الهدى

من علا الأكوان سرا و سنـا

أحمد المبعوث رحمة لنـا

فتحلينا بحلية الثنـــــا

وعلى الآل وصحب ثم من

كان للدين مقيما يقنـــا

و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا و صلى اللّه على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما.

تعليق على القصيدة

أ / بلقاسم آيت حمو

الحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.- وبالفعل فرغم أن القصيدة العصماء نظمت سنة 1982، فقد أشار فيها الى آخر جمع له بنا، وذلك في آخر يوم من شهر رمضان المعظم، يوم الأربعاء سنة 1990 سنة إنتقاله !!. هذا الصدر ارتجله تلميذه الحاج الصادق إزبوجن، وهو أميٌّ !!زيارته : وقد كان رضي الله تعالى عنه يغتنم الفرص لزيارة مقامات أحباب والله رضوان الله عليهم أجمعين، ويستغل تلك المناسبات السعيدة لإفادة الحضور كما هو الشأن في هذه الحادثة الميمونة « كنز الوجوه».

زيارة إحتفاء وتكريم :

إن أولياء الله رضوان الله عليهم جميعا، بمختلف مقاماتهم متحابون، إذ أنهم بمثابة سلسلة متصلة الحلقات وممتدة إلى سيد الوجود صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا وهم – كما يقال عنهم حقا وصدقا – عرائس الرحمن لا يجليهم إلا لمن سبقت له العناية الربانية، فالحمد لله والشكر لله، وضمن هذه الأسرار الباهرة والأنوار الزاهرة تندرج لقاءاتهم وزياراتهم بعضهم البعض بالأرواح والأشباح أحيانا أو بالأرواح أحيانا أخرى، وإن كان الاتصال بينهم دائما مستمرا .

وهكذا توجه الشيخ في زيارة روحية وحسية إلى المقام الشريف والضريح المنيف لأحد الأغواث رضي الله عنهم أجمعين . ولدى تواجده هناك، لاحظ أن القائم بمقامه والمنصب من طرف الأتباع خليفة له من بعد انتقاله قد جلس مكان الغوث رضي الله عنه، والفقراء محيطون به، يجلونه، ويعاملونه بالتكريم، والتعظيم لكن الشيخ عمر أبا حفص قدس الله سره أثاره – في الحق – كلام سمعه منه وهو يخاطب به المجتمعين حوله لأنه مناف للصواب، ومجاف لحقيقة معارف العارفين، فبرز له الشيخ يرشده إلى أوجه الصواب من الخطأ لكنه تشبث بأفكاره وربما اعتبر أن من غير اللائق أن يحاوره « شيخ عابر سبيل « أمام مريديه فضلا عن أن يخطئه ويصحح كلامه في حضرتهم لذلك انفعل وتضامن معه الأتباع فعزم الشيخ رضي الله عنه – في قرارة نفسه – تفادي الجدل في حضرة الغوث المنتقل رضي الله عنه ووضع حدا للحوار مغادرا قاعة الواقعة ومتوجها إلى مقام المزار رضي الله عنه فإذا بالشيخ عمر أبي حفص رضي الله عنه يسمع هاتفا من الضريح الشريف يخاطبه قائلا ما معناه»: قل له ... هل تعرف كنز الوجوه؟» حينئذ، ومن غير أن يعرف الشيخ عمر أبو حفص الزموري رضي الله عنه – وهذا ما ذكره لي، ولعله من باب تواضعه، والله أعلم – المغزى الحقيقي لهذه العبارة الكريمة، فهم الإشارة، وأدرك أن عليه أن يعود إلى المنصب خليفة للغوث رضي الله عنه قصد أداء المهمة المنوطة به وهو مأذون في ذلك.

وروى الشيخ قدس الله سره تفاصيل ما جرى بعد ذلك، وهو ما سنقدمه بمعناه، وبقدر ما احتفظت به ذاكرتنا مع الاحتراز الشديد في الحرص على نقل المعنى العام للحديث الميمون بأمانة ووفاء لا سيما أن الموضوع دقيق والزيادة في مثله أو النقص المشوه لمحتواه العميق الدلالة، والعياذ بالله،

قد يضر بالناقل حسا ومعنى، ولقد فاتنا – لغفلتنا آنذاك – العمل بالمثل القائل « العلم صيد والكتابة قيد»، فلله الأمرمن قبل ومن بعد .

قال الشيخ رضي الله عنه:

عدت إلى مكان اجتماع المعني بمريديه، وبمجرد أن اجتزت عتبة الباب نظر إلي مبتسما وقال « ها أنت عدت لمواصلة الحديث ! .

قال الشيخ: عندئذ خاطبته بلهجة صارمة، أن أنزل وأترك لي مكانك، وكان الخطاب مهمة، فامتثل وأخذ مكانه وسط المريدين وجلست مكانه، ثم خاطبته، دون أن يخطر ببالي ما يكون الجواب، ولا ما سيستتبعه المقال، لأن الحقائق جاءت تترى تباعا:

- هل تعرف كنز الوجوه ؟ !

قال: لا؟ !

قلت: أليس الظاهر يأكل الباطن ؟

قال: ماذا تعني؟ !

قلت: ألا يظهر على وجه إنسان ما يكنه ويخفيه في باطنه؟

فالوجه مرآة لما في الباطن !

قال: نعم

قلت: أليس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم هم المظاهر والوجوه المعبرة عن الخالق سبحانه وتعالى وعن قدرته ؟

قال: نعم هم كذلك

قلت:أليس نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو كنز الوجه وسيدهم؟

قال : نعم

قلت : أنت كما قال أحد الشيوخ لأحد الشباب المريدين:

هل رأيت أبا يزيد البسطامي رضي الله عنه؟

فقال الشاب: وما حاجتي برؤية أبي زيد البسطامي وقد أكرمني الله جل جلاله برؤيته؟

فقال له الشيخ: لأن ترى أبا يزيد مرة خير لك من أن ترى الله سبعين مرة !!

فقال الشاب متعجبا: وكيف ذلك؟ أخبرني !!

قال الشيخ: لأنك حين ترى الله عز وجل فإنك تراه بمرآتك الصدئة غير المصقولة، ولكنك حين ترى أبا يزيد البسطامي رضي الله عنه فإنك ترى من رأى الله سبحانه وتعالى بمرآة جلية صافية .

فقال الشاب مقتنعا:

دلني على أبي يزيد لأراه

فقال له الشيخ: اتبعني

وانطلقا سائرين الى أن أنبرى لهما من بعيد سيدي أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه، فما إن رآه الشاب حتى خر مغشيا عليه، ومات رحمه الله .

عندئذ تقدم الشيخ من سيدي أبي يزيد البسطامي وسأله قائلا:

ماذا حدث لهذا الفتى حتى فاضت روحه بمجرد رؤيتك؟

فقال أبو يزيد رضي الله عنه :

لقد كان فيه سر خفي فلما رآني تجلى له فلم يطقه فمات رحمه الله .

قال الشيخ عمر أبو حفص الزموري رضي الله عنه: عندئذ لمحت وجه محدثي وقد علاه الانشراح، فتقدم إلي وهو يردد أمام الجمع و الله أنت أبو يزيد

أنتاعي ! و الله أنت أبو يزيد أنتاعي (أي أنك لي بمثابة أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه) .

وارتمى على الشيخ رضي الله عنه يقبله تبركا به وتعظيما له.

كرا مـة :

من وحي هذه الحادثة المباركة، تذكرت كيف أن شيخي العلامة عمر أبا حفص الزموري أفاض الله عليه من كرمه وجوده ما يرضيه وفوق الرضى، التفت إلي ذات يوم ونحن في غرفته المتواضعة، وقد أسمعه أحد المريدين قصيدة دينية، فخاطبني الشيخ قدس الله سره قائلا ما معناه (انظم مديحا في النبي صلى الله عليه وآله و سلم) .

وذكرني بهذه الإشارة المباركة، بعد انتقال الشيخ رضي الله عنه، ذلك الأخ الكريم تابع الله بيني وبينه بالخيرات والبركات ولكن مرت الشهور والسنون فلم أنظم سوى مطلع المديح الى أن حدثت (الكرامة) في شهر صفر 1416 ه الموافق لجولية 1995، بعد إحياء الذكرى الخامسة لانتقال الشيخ رضي الله تعالى عنه .

فكان أن من الله سبحانه وتعالى، وببركة شيخي غوث الأغواث، نجم التسبيح أفاض الله عليه من كرمه وجوده ما يرضيه وفوق الرضى، بهذا المديح الذي اخترت له عنوانا مستوحى من مضمون ما سبق إيراده آنفا .

وها هو مضمونه من باب **(وأما بنعمة ربك فحدث)** الآية، وتعميما للفائدة .

- كنز الـوجـوه -

للأستاذ/بلقاسم آيت حمو

يا حبيب الله يا خير الورى
يا سراجا لاح فانزاح الظلام
أنت نور الحق، أنت قبضة
من سناء القدس قد نيل المرام
ثم صاغ الكل منك، فالسوى
حاز قدرا بك، فازدان النظام
يا شكورا للإله منـــه
قائما تدعو والناس نـيـام
قد عرتني من تباريح الهوى
لوعة الشوق وأضناني الهيـام
طيبة الغراء أذكت في الحشا
جذوة الحب فطاب الاضطرام
زنتها فهي المقام المرتضى
تزدهي فخرا بها يحلو المقام
فأرح قلبي المعني و آبسطن
كف جود، في حماها، لا أضام
قد حباها ربنا من فضله
معجزات ليس يحصيها الأنام

سبحت صم الحصى حمدا بها
وارتوى من وردها قوم كرام
وغدا الصاع عميما حينما
لامسته، فكفى الجيش الطعام
كم تشفى مدنف يمنا بها
فتلاشى الضر وانجاب السقام
وطغى المغرور واعتاد الأذى
فتلقاه بها الموت اــزؤام
كم وكم من مكرمات لوروى
بعضها الراوي لأعياه الكلام
أنى لي، والزاد إن رمت به
خوض هذا البحر أرداني الملام
سيد السادات كن لي شافعا
إنني العبد الذليل المستهام
أرتجي التوفيق من مولاي إذ
بالرحيم البر لذ الاعتصام
بك يا كنز الوجوه المصطفى
يا رؤوفا قد أظلته الغمام
أسأل الله ابتهالا، آمنا
أن ينيل القلب أجدى ما يرام
حلة التقوى، وحفظا دائما
و دوام الشكر يجنيه اغتنام

فهو ذخري وملاذي المرتجى
حين يجفوني من الكرب المنام
سيد السادات كن لي مرشدا
إنك الحب الصفي والإمام
إنك الهادي بك الشيخ اقتدى
سيدي القطب المربي الهمام
صل يا ربي على خير الورى
أحمد الباهي صلاة تستدام
وعلى آله والصحب ومن
جعلوا الله وليا فاستقاموا

والصلاة والسلام على شمس الظهور على المنابر، سيدنا محمد خير مبشر وأفضل آمر، وعلى آله وصحبه وأتباعه ما توالت سحب الرضى من ربنا القادر .

أ / بلقاسم آيت حمو

- رسالة شكر وامتنان -

من عائلة الشيخ قدس اللّه سره إلى الدكتور محمد العربي ولد خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على رسولك الأعظم ونبيك الأكرم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

إلى الأخ الفاضل الشريف
الدكتور محمد العربي ولد خليفة
رئيس المجلس الأعلى للغة العربية.

قال الله تعالى: (ولئن شكرتم لأزيدنكم) وقال جل جلاله: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)، وقال حبيبه و مصطفاه عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله).

وإنه لمن أوكد الفروض علينا - نحن أبناء الشيخ عمر أبو حفص الزموري قدس الله سرّه – أن نمتثل لأمر ربّنا وجدّنا صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، وأن نسدي لكم، من أعماق قلوبنا، أصدق آيات الشكر، وأخلص معاني العرفان على ما أوليتموه من كريم العناية، وجميل الاهتمام لوالدنا بمناسبة الذكرى الثامنة عشرة لالتحاقه بحبيبه الأكبر المولى سبحانه وتعالى.

لقد كان للجلسة النورانية التي تمّت – بفضل الله وجوده - تحت إشرافكم، أثر بالغ في نفوسنا، لتميّزها من حيث المكان والزمان، فانعقادها في فندق الأوراسي تزامن مع تنظيم أول ملتقى دولي، ببجاية المحروسة، خصّص للولي الصالح سيدي الشيخ الحسين الورثلاني رضي الله عنه صاحب المصنفات الشهيرة كالرحلة المنسوبة إلى اسمه الشريف، والذي كان والدنا أفاض الله عليه من كرمه وجوده ما يرضيه وفوق الرّضى، يحبه ويجلّه على غرار كافة إخوانه العارفين بالله رضي الله عنه وعنهم أجمعين .

وهكذا مرت الذكرى العطرة لوالدنا في أجواء روحية محفوظة بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية الشريفة، مفعمة بالأسرار الدقيقة الباهرة، مشرقة بالأنوار المتدفقة الزاهرة، طافحة بالبركات و الفيوضات والإمدادات وبالخيرات، وكيف لا وقد قال الحبيب المصطفى سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (من ورّخ مؤمنا فكأنما أحياه)، وإنكم – والحمد لله – قد أسهمتم إسهاما مأجورا إن شاء الله تعالى في التاريخ لوالدنا عليه رحمة الله ورضوانه، وأسمى عبارات الامتنان موصولة إلى كافة مساعديكم ومنظمي التظاهرة الميمونة من أساتذة محاضرين وفضلاء مدلين بشهاداتهم وجميع الحاضرين تبركا بصاحب الذكرى المتضوّعة بأريج النفحات الربانية.

وإنّنا – في غمرة سرورنا وحبورنا – نرفع أكفّنا إلى مجيب الدعاء عزّ وجل لاهجين بالتضرع الصادق إليه أن يكلأكم، وجميع أفراد عائلتكم الشريفة، بعين رعايته، وأن يديم عليكم نعمه الظاهرة والباطنية وستره ونصره الدائمين،

وأن يرقيكم في مدارج السموّ حسًّا ومعنى، ويفسح لكم في الآجال لتواصلوا مساعيكم النبيلة في خدمة الصالحين وخير البلاد وصلاح العباد والنهوض بلغة الضاد، إنه نعم المولى ونعم النصير، وهو بالإجابة جدير وعليها قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

اللهم صلّ على سيدنا ومولانا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما عدد ما في أبواب الجنان وفيض الرحمن.

الجزائر يوم الإثنين 28 جماد الأولى 1429 هـ الموافق لـ 2 جوان 2008

عن أبناء الشيخ عمر أبو حفص الزمّوري

أ / عبد الرحمن أبو حفص

ملحق بالسيرة الذاتية للشيخ
عمر أبو حفص الزموري (رضي الله عنه) باللغة الأجنبية
أ / بلقاسم آيت حمو

CHEIKH OMAR BOUHAFS EZZEMMOURI (1913-1990)

Il y a 18 ans, le 10 Mai 1990, nous quittait Cheikh Omar Bouhafs Ezzemmouri, après une vie marquée par le travail, la piété, et des activités au service de l'Islam. Il est notamment connu par son enseignement des sciences de la langue arabe à travers plusieurs régions du pays telles que Oued Zenati, Ain Fekroune, Bordj Zemmoura, Chellata, Tinbdar et mosquée de Sidi Ramdane, située à la basse-Casbah d'Alger.

Durant 76 ans, Cheikh Omar Bouhafs a contribué remarquablement à une véritable connaissance de l'Islam et de ses vertus, loin de toute altération partisane.

Par son comportement, ses méthodes de communiquer la science divine, il a montré que seul la vérité et l'au-delà comptaient, car dans cette vie matérielle tout est éphémère.

Il a souligné la nécessité de considérer la vie comme un passage incontournable à travers lequel l'être humain doit s'assumer et accomplir convenablement la mission dont il est chargé par le biais du travail, du sacrifice, du respect d'autrui et plus particulièrement de l'amour de sa religion et de sa patrie.

Ces différentes caractéristiques dont sa vie était empreinte, se retrouvent aussi bien à travers ses causeries avec ses élèves et disciples, que dans le contenu de ses ouvrages et de ses articles.

Parmi ses ouvrages déjà publiés, il y a lieu de signaler «**Feth Ellatif** », consacré aux sciences de la langue arabe, et plus particulièrement à la conjugaison.

Ce livre dont l'édition s'est épuisée en un temps record, est considéré par les critiques spécialisés en la matière, comme étant un chef d'œuvre. D'autres ouvrages ont été publiés tels que ses recueils de lettres sur la jurisprudence, le pèlerinage et des formules de prière et de méditations du genre mystique.

Une vie aussi riche ne peut être résumée en quelques lignes, il ne s'agit donc ici que d'une station de fidélité à l'un des fils illustres de ce pays, à l'occasion de la commémoration de la dix-huitième année de son décès.

Et pour le présenter davantage en voici quelques stations :
«A l'occasion de la clôture d'une série de cours dispensés par l'éminent savant Sidi Bouhafs Omar à laquelle a assisté une pléiade d'illustres savants qui ont élevé par leur présence la manifestation à un très haut niveau, un certain nombre de jeunes et brillants esprits se sont distingués par des communications qui, par leur très haute tenue, ont suscité l'admiration de l'assistance. Nous n'évoquerons que quelques unes de ces allocutions bien que toutes méritent le plus grand intérêt… ».

Ces quelques lignes traduites d'un article publié en 1935, par le revue « **Lissan Ed-Dine** », rapportant le déroulement de cette fête à caractère religieux et culturel, qui a eu lieu au domicile du Cheikh transformé en Zaouia à Zemmoura, Wilaya de Bordj Bou Arréridj, respirant une vitalité digne de la plus immédiate actualité. Et pourtant, cette manifestation hautement originelle, se tenait quelques années à peine, après le centenaire de la colonisation fastueusement célébré par l'occupant.

Le destin a voulu que récemment , en 1991 cinquante six ans plus tard, sur les mêmes lieux, se tienne une autre cérémonie, celle-là pour la fondation officielle d'une association religieuse portant le nom du Cheikh Sidi Omar Bouhafs, dont l'âme avait rejoint son créateur une année auparavant. Mais la mort, si elle est la fin physique de l'être, ne représente pas pour autant la disparition de l'âme et de l'esprit, particulièrement lorsqu'il s'agit d'une stature religieuse et intellectuelle telle que celle de Sidi Omar Bouhafs.

Sidi Omar Bouhafs, est né en 1913. Devenu orphelin à l'âge de sept ans, il fut élevé par un oncle paternel qui veilla à son éducation. Très jeune le Cheikh Sidi Omar devient dépositaire du divin Coran, en digne héritier de la tradition de piété de sa famille qui remonte au saint savant Sidi Amar El-Adjissi élogieusement évoqué par Sidi El Hocine El Ouartilani dans sa célèbre Rihla.

Plus tard, il eut l'heur de rencontrer l'éminent savant le Cheikh Sidi Ahmed Ben Kaddour, savant versé dans toutes les sciences inhérentes à la religion et à la langue du Coran. D'un génie phénoménal relevant de l'inspiration divine, le Cheikh Sidi Bouhafs s'est vu, en quelques années, grâce à une capacité de réceptivité et d'assimilation prodigieuses, passer du statut de disciple à celui de maître incontesté.

Homme de savoir, théologien hors pair, cet érudit de son temps, reste peu connu des jeunes générations. Portant, Sidi Cheikh Omar Abou Hafs Zemmouri,ce Saint parmi les Saints qui ont illuminé le Nord Africain et même l'Orient de leurs connaissances profondes des sciences de l'Islam, reste l'une des références sûres pour toute âme à la recherche de la vérité, essence de la foi, de cette lumière qui éclaire les ténèbres de l'ignorance.

En hommage à ce saint savant, une cérémonie culturelle et religieuse a été organisée le 28 Juin 2008, à l'hôtel El Ourassi par le Conseil Supérieur de la Langue Arabe. Etaient présents à cette manifestation les membres de la famille du défunt ainsi que les disciples du Cheikh. On relèvera également la participation d'éminents imams et personnages qui l'ont côtoyé.

Des conférences ont été données à l'occasion par des professeurs universitaires tels que le Docteur Abdeldjalil MORTAD, université de Tlemcen, et Docteur Brahim GALLATI, université de Constantine et le professeur AIT HAMOU Belkacem l'un de ses très proches disciples et Sidi Abderrahmane Bouhafs,fils du Cheikh honoré.

Ces conférences ont eu lieu après une remarquable intervention du Docteur Mohamed Larbi OULD KHELIFA ,Président du Conseil Supérieur de la Langue Arabe.

Plusieurs disciples et élèves ont marqué leur présence par des témoignages éclairant davantage les différentes dimensions caractérisant la personne de cet éminent saint et savant parmi lesquels figurent Si Abdelhamid MEHRI, et l'ex Officier Supérieur de l'ALN Abdelmadjid Hamlaoui actuellement cheikh de la Zaouia El Hamlaouia, et Abdelmadjid Bendaoud Cadre Supérieur au Haut Conseil Supérieur de la Langue Arabe.

Sidi Cheikh Omar Abou Hafs Zemmouri tel que présenté par ses proches, est un homme qui a consacré son existence à l'adoration du créateur, et à la recherche de cette vérité qui mène à la voie de la croyance.

Son origine généalogique remonte à Sidna El Hussein, fils de Lalla Fatma.Zohra, fille du prophète Mohamed que la prière divine et le salut divin soient sur lui et ses proches. Né à Chelghoum El Aid, il sera confié dès son jeune âge à son oncle paternel pour son éducation, son père étant décédé.

C’est aux côtés de son oncle, lui-même théologien qu’il apprendra les rudiments de la théologie. En débutant par le Coran, Cheikh Omar, était animé selon les témoignages recueillis, par le sentiment de dévotion. Il alla à la recherche de la vérité auprès de grands érudits, pour rencontrer l’éminent théologien et mystique Sidi Ahmed Bel Kaddour grâce auquel il maîtrisera les fondements du pouvoir (Fikh, hadith). Ferment défenseur de l’Islam, Cheikh Omar, était un nationaliste invétéré, qui inculquera à ses disciples l’amour de la patrie et de la liberté a formé par ailleurs des disciples dans les Zaouias de Djaâfra, Chellata, Sidi Moussa. En 1965, il rejoint la capitale où il sera imam à la mosquée Sidi Ramdane à la haute Casbah, jusqu’à son décès, le 10 Mai 1990. De 1965 à 1990, l’histoire retiendra que cet Imam prodigue aura atteint son apogée.

« Wali Allah », symbole d’altruisme, Cheikh Omar a le mérite de maîtriser l’art de la rhétorique et la théologie. Orateur hors du commun sa vie aura été une succession d’actes de bienfaisance, et une ascension dans le savoir.

L’initiative du Conseil Supérieur de la Langue Arabe de rendre un vibrant hommage à Sidi Cheikh Omar Bouhafs Ezzemmouri constitue la reconnaissance de cette grande institution à un savant qui

a dignement et efficacement participé à la préservation et l'épanouissement de la langue du Saint CORAN aussi bien durant la nuit coloniale qu'après le recouvrement de notre indépendance nationale.

Il y a lieu de signaler que chaque année une manifestation similaire est organisée en commémoration du décès du défunt Sidi Bouhafs, et qu'en 2003, l'événement s'est déroulé sous le Haut patronnage du Président de la République Monsieur Abdelaziz Bouteflika.

Par Belkacem Ait Hammou



كلمة الإفتتاح لمعالي رئيس المجلس الأعلى للغة العربية الدكتور محمد العربي ولد خليفة



السادة المحاضرون في الندوة و هم من اليمين إلى اليسار:
د/ عبد الجليل مرتاض - أ/ عبد الرحمن بو حفص - أ/ بلقاسم آيت حمو - د/ إبراهيم قلاتي



المقرئ رياض الجزائري يفتتح الندوة بترتيل آيات من الذكر الحكيم



-جانب من الحضور الكريم- يتابعون باهتمام



جانب من الحضور الكريم في القاعة



الأستاذ / بلقاسم آيت حمو يحاضر في الندوة: و إلى جانبه نجل الشيخ



الأستاذ / عبد الحميد مهري من تلامذة الشيخ و أحبائه يدلي بكلمة في الندوة



الأستاذ / عبد المجيد بن داود يلقي مداخلة في الندوة



فضيلة الشيخ عبد المجيد بلحملاوي شيخ الزاوية الحملاوية بقسنطينة و صديق الشيخ يلقي مداخلته في الندوة



الدكتور/ محمد العربي ولد خليفة و الأستاذ عبد الحميد مهري يكرمان عائلة الشيخ و يسلمان لنجله هدية رمزية



جانب من الحضور في القاعة يشدهم الإنتباه

إنجاز / راجعي للنشر و الطباعة
0770 41 00 36



... أما بعد فقد أطلعني الأخ الروحي عمر أبو حفص على تأليفه النفيس المسمى فتح اللطيف في شرح البسط والتعريف في علم التصريف للإمام المكودي شارح الألفية فسرحتُ النظر في رياضه ومتعتُ الروح بأزهار فصاحته وبلاغته فوجدته مرصعا بأبحاث شريفة وتحقيقات نفيسة بأسلوب جذّاب فأصبحت به قواعد التصريف سهلة المنال لجميع الطلاب، وقد كان هذا الفنّ مستعصيا على الأفهام، لتشعب مسائله فلا يتوصل لتحقيقها وإدراكها على الوجه الأكمل إلاّ الجهابذة الأعلام ...

من مقدمة كتاب الشيخ

للأستاذ مولود مهري

الإيداع القانوني : 4399 - 2008

ردمك : 6 - 33 - 821 - 9947 - 978